

جمهورية تركيا
جامعة يوزونجوييل
معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا
قسم العلوم الإسلامية - فرع التفسير

حديث القرآن عن المتكبرين وعقابهم

رسالة ماجستير

إعداد
آري مجيد حمه كريم

وان - 2017

جمهورية تركيا
جامعة يوزونجوييل
معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا
قسم العلوم الإسلامية - فرع التفسير

حديث القرآن عن المتكبرين وعقابهم

رسالة ماجستير

إعداد

آري مجيد حمه كريم

إشراف

أ. د. صلاح الدين سونمزسوي

وان - 2017

المحتويات

i.....	المحتويات:
iii.....	المقدمة:
1	1. التمهيد
1	1.1. سبب اختياري لهذا الموضوع
2	2.1. أهداف البحث
3	3.1. منهج البحث
4	4.1. خطة البحث
5.....	2. الكبر والمشتقات ومرادفاته في القرآن
5.....	1.2. تعريف الكبر وبيان درجاته وأنواعه وأسبابه وعلاجه وحكمه
14.....	2.2. المشتقات الكبر في القرآن
18.....	3.2. مرادفات الكبر في القرآن
18.....	1.3.2. الطغيان
20.....	2.3.2. البغي
22.....	3.3.2. البطر
24.....	4.3.2. الاستنكاف
25.....	5.3.2. الغرور
27.....	6.3.2. العجب
28.....	7.3.2. العلو
29.....	8.3.2. العتو
32.....	3. المتكبرون بسلطانهم وعقابهم الدنيوي في القرآن
32.....	1.3. تكبر النمرود وفرعون بسلطانهما
32.....	1.1.3. حديث القرآن عن تكبر النمرود بسلطانته وعقابه
33.....	1.1.1.3. الآية التي وردت في هذا الموضوع
33.....	2.1.1.3. اتصال الآية بما قبلها
39.....	2.1.3. حديث القرآن عن تكبر فرعون بملكه وعقابه
39.....	1.2.1.3. نسب فرعون وأصله
40.....	2.2.1.3. المرات التي ذكر فيها قصة فرعون في القرآن
41.....	3.2.1.3. التحليل التفسيري لقصة فرعون
42.....	4.2.1.3. الآيات التي وردت في هذا الموضوع
44.....	5.2.1.3. التحليل التفسيري للآيات
65.....	4. حديث القرآن عن الطاغية قارون المتكبر بماله
65.....	1.4. نسب قارون وقصته في القرآن الكريم
65.....	1.1.4. نسب قارون
66.....	2.1.4. حديث القرآن عن قارون وتكبره بماله
66.....	3.1.4. التحليل التفسيري للآيات
76.....	5. حديث القرآن عن المتكبرين بقوتهم قوم عاد أنموذجاً

76	1.5. حديث القرآن عن قوم عاد وتكبرهم بقوتهم
76	1.1.5. من هم قوم عاد؟
78	2.1.5. حديث القرآن عن تكبر قوم عاد بقوتهم
78	1.2.1.5. الآيات التي وردت في هذا الموضوع
79	2.2.1.5. التحليل التفسيري للآيات
93	6. حديث القرآن عن المتكبرين عن العبادة والسجود
93	1.6. تكبر إبليس عن السجود لآدم- عليه السلام-
93	1.1.6. المواضع التي ورد فيها تكبر إبليس عن السجود
93	2.1.6. الآية التي وردت في هذا الموضوع
94	3.1.6. التحليل التفسيري للآية
104	الخاتمة :
106	المصادر والمراجع :
117	ملخص البحث باللغة العربية :
1	ÖZET
2	ABSTRACT
4	İÇİNDEKİLER

المقدمة

الحمد لله الخالق البارئ الجبار المتكبر الذي لا يضعه عن مجده واضع، الجبار الذي كل متكبر له خاشع خاضع، وكل طاغية في جناب عزه ذليل متواضع، القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع، جمع أوصاف العزة والجبروت لا يمنعه عنها مانع، والصلاة والسلام من ذم المتكبرين ومدح المتواضعين سيد الخلق أجمعين، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبعد

فالكبر داء عضال، وعقابه شديد عند الكبير المتعال، والمتكبر مريض سقيم، وداء العجب والغرور عليل، ولقد توعد الله المتكبرين بالعذاب الشديد، والبعد عن رب العالمين، وجعل المتكبرين في منزلة الشياطين، فالتكبر على نهج الشيطان من السائرين، فإن أول معصية عصي بها الله - تبارك وتعالى - هي الكبر، حيث تكبر إبليس اللعين أن يسجد لسيدنا آدم - عليه السلام - فعصى إبليس ربه ؛ لذا حفلت الآيات القرآنية بزم الكبر والمتكبرين، وبينت عقابهم في الدنيا والآخرة.

ونظرا لخطورة الكبر والطغيان على عقيدة المسلم، تحدث القرآن الكريم عن أصناف عديدة من المتكبرين، فذكر المتكبرين بسلطانهم وحكمهم وضربا مثلا بتكبر النمرود وفرعون - عليهما من الله ما يستحقانه - وبين عقابهم في الدنيا والآخرة؛ ليكون ذلك عبرة لأصحاب العقول السوية، كما ذكر المتكبرين بأموالهم، وأنها لن تغني عنهم من الله شيئا، أن تكبروا وبها وكانت سببا لطغيانهم وتجبرهم، وضرب مثلا بقارون الذي تجبر وبغى بماله على قومه فخسف الله به وبماله، ولم يكن له من دون الله نصيرا، كما تحدث القرآن الكريم عن المغترين بقوتهم، الناسين قدرة الله الذي خلقهم، الغافلين عن ضعفهم البشري، وضرب لهذا الصنف من المتكبرين مثلا بقوم عاد والعقاب الذي عاقبهم الله به في الدنيا، وما ينتظرهم من عذاب مقيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وأخيرا وليس آخرا تحدث القرآن عن المتكبرين عن عبادة الله،

وتوعدهم بالعذاب الشديد في الدنيا وفي الآخرة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾¹.

وفي نهاية هذه المقدمة الموجزة، أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان لكل من ساعدني على إتمام هذا العمل على هذه الصورة الحالية، وأخص منهم بالذكر الأستاذ الدكتور: صلاح الدين سونمزسوي، أستاذ التفسير بكلية الإلهيات جامعة يوزنجويل؛ والذي كان لي مشرفاً مميزاً، ووالدا عطوفاً، استفدت من علمه الغزير، ووقته الثمين، فجزاه ربي عني خير الجزاء، والشكر موصول للأستاذ الدكتور: محمد سليم آيداي، أستاذ التفسير بكلية الإلهيات جامعة يوزنجويل، الذي قَبِلَ مناقشة رسالتي المتواضعة، التي سيثريها بملاحظاته القيمة التي أضعها نصب عيني وانتفع بها في مستقبلي، سائلاً المولى - عز وجل - أن يبارك في علمه وعمله، كما أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور: محمد ألتن، أستاذ التفسير بكلية الإلهيات بمدينة بيدليس، والذي تجشَّم المتاعب والصعوبات لمناقشة رسالتي، وأسأل الله أن ينفعني بملاحظاته التي ستضيء بحثي إن شاء الله، فأسأل الله أن يجعل له بكل خطوة خطاها إلى وان حسنة، وأن يبارك في علمه، ويجعله زخراً لطلابه ومريده، كما أتقدم بشكري وتقديري لكل من قدم لي يد العون والمساعدة ولو بكلمة طيبة، أو دعوة صادقة، أو إشارة لطيفة.

وبعد، فهذا بحثي بين يدي القاريء الكريم، فإن أكن وفقت فيه فهذا فضل من الله - تعالى- وحده، وما كان فيه من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأستغفر الله - تعالى- منه، وهذا جهد المقل، وأسأل الله تعالى أن ينفع به.

الباحث/ آري مجيد حمه كريم

محافظة وان جمهورية تركيا - 2017

1. التمهيد

1.1. سبب اختياري لهذا الموضوع

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه من الموضوعات التي تحظى بأهمية كبيرة في حياة كل فرد مسلم، ولا سيما في مجتمعات المسلمين؛ وذلك لخطورة كبيرة الكبر، التي حذرنا منها رب العالمين، وبين أنها نذير شؤم على من اتصفوا بها، فلم تجلب عليهم سوى الدمار والوبال في الحياة الدنيا، والوعيد الشديد بالعذاب الأليم يوم القيامة، لذا ذكرت في القرآن الكبر بكل مشتقاته، محذرا منه، ذاكرا أمثلة المتكبرين وعقابهم، ليحذر الذين تسول لهم نفوسهم بالكبر أن يصيبهم ما أصاب من سبقهم من المتكبرين الغابرين في الأزمان الماضية، وقد تنوعت معاني الكبر في الذكر الحكيم حسب ما يقتضيه السياق، فتارة يذكر بالفعل المضارع المجرد، وأخرى يذكر بالمصدر المزد، وأخرى بالفعل الماضي المجرد، وأخرى بالمصدر المزد، كما تنوعت مرادفاته في الذكر الحكيم، فذكر القرآن الطغيان، والبغي، والبطر، والاستنكاف، والغرور، والعجب، والعلو، والعتو، وغيرها من مرادفات الكبر، فكل تلك المعاني وردت في سياقات مختلفة ومتنوعة؛ لإظهار قيمة هذه الجريمة الشنعاء في حق المتكبر وفي حق خالقه- تبارك وتعالى-، من أجل ذلك كله اخترت هذا الموضوع، وجعلت عنوانه (حديث القرآن عن المتكبرين وعقابهم) بالإضافة إلى ما يلي من أسباب ثانوية منها:

- أهمية الموضوع وحاجة الناس الماسة إليه، فقد لاحظت أن مظاهر الكبر قد انتشرت لدى كثير من أبناء البلدان الإسلامية، تحت مسميات خفية وأشكال متنوعة.
- حارب الإسلام المتكبرين ومظاهر الكبر منذ بزوغ فجره، وسلك مسالك عديدة، حيث خاطبهم بما يتفق مع عقولهم، وتدرج معهم لإنقاذهم من براثن هذه الكبيرة، وحثهم على التواضع لإخوانهم، ورفع من شأن المتواضعين.

- خطورة المتكبرين بعلمهم أو بأموالهم أو بسلطانهم على الأمة الإسلامية، وما يؤدي إليه من فساد كبير وهلاك المجتمعات.
- عدم اطلاعي على كتاب خاص يضم أطراف الموضوع، وتناوله من خلال القرآن الكريم، وكشف عن مظاهر الكبر والعقوبات المترتبة عليه في الدنيا والآخرة، مما دفعني إلى البحث فيه والكتابة عنه ؛ لكي أوفي هذا الموضوع حق الوفاء.
- عناية كثير من كتب التفسير الموضوعي بالموضوعات السلوكية والأخلاقية؛ لذلك أحببت أن أتكلم عن أحد الموضوعات من خلال هذا اللون من التفسير.
- اهتمام القرآن بكل القضايا وبكل يابس ورطب وأن بحثنا هذا هو نقطة تركيز القرآن وأنه لا يحرم ولا يخرج من اهتمام القرآن به وبكل الأشياء الواردة في البحث .

2.1. أهداف البحث

يتطرق البحث إلى تحقيق هذه الأهداف:

- بيان مفهوم التكبر وعقاب المتكبرين في الدنيا والآخرة في ضوء الآيات القرآنية.
- معرفة الفروق اللغوية بين التكبر والطغيان، التكبر والبغى، التكبر والبطر، التكبر والاستكفاف، التكبر والغرور، التكبر والعجب، التكبر والعلو، التكبر والعتو من خلال الآيات التي تحدثت عن المتكبرين.
- تدبر آيات الله التي توعدت المتكبرين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة
- إبراز آراء المفسرين القدامى والمحدثين في الآيات التي ذكرت المتكبرين.
- التحذير والتخويف من هذه الخصلة الذميمة التي نهانا الله عنها في القرآن الكريم.
- الترغيب في التواضع وعدم التكبر بالمال أو بالجاه أو بالقوة.
- ذكر أهم النتائج والتوصيات في نهاية البحث.

3.1. منهج البحث

سوف أتخذ - إن شاء الله - المنهج الاستقرائي التحليلي في كتابة هذا البحث للإلمام بكل أطرافه قدر الاستطاعة، وسوف أقوم بتطبيق الأمور التالية:

- الاعتماد على القرآن الكريم، ثم الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة أساساً للبحث في هذا الموضوع.

- مراعاة الترتيب الزمني للمفسرين، فإذا وجدت رأيين متفقين فسوف أقدم القديم على الحديث.

- الاكتفاء بالشبيه عن الشبيه، والنظير عن النظير، حتى يخلو البحث من التكرار الممل، كما أنني حاولت بسط الموضوع؛ لأبتعد قدر الإمكان عن الإيجاز المخل.

- تفسير الآيات تفسيراً إجمالياً عدا ما تدعو الحاجة إلى الوقوف عنده وتفصيله.

- حاولت ربط قضايا البحث بالواقع المشاهد، وتنزيل هذا الواقع عليها.

- اكتفيت بذكر نماذج للمتكبرين الذين ذكرهم القرآن الكريم، خوفاً من الإطالة، كما أنني كنت أصدر كل فصل بذكر الآيات التي وردة في هذا الموضوع، ثم تحليلها تحليلًا كاملاً بذكر آراء المفسرين.

وقد اعتمدت في بحثي على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع التي استقيت البحث منها أكثر مادته، ومن أهم هذه المصادر بعد كتاب الله - تعالى - وصححي البخاري ومسلم هي: تفسير الكشاف لزمخشري (ت: 538هـ)، وتفسير الإمام البيضاوي (ت: 685هـ) المسمى بـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وتفسير إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود (ت: 982هـ)، وتفسير روح المعاني للعلامة الألوسي (ت: 1270هـ)، وغيرها من التفسير المهمة، كما اعتمدت على كتب اللغة لتوضيح الكلمات الغريبة، من أهمها معجم مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، ومعجم لسان العرب لابن منظور (ت: 711هـ)، بالإضافة إلى المراجع الأخرى التي تزيد عن بضع وثمانين مصدراً ومرجعاً.

4.1. خطة البحث

اقتضى البحث أن أقسمه إلى ستة فصول، فجاءت خطة هذا البحث على النحو التالي :

الفصل الأول: تمهيد: ذكرت فيها أهمية الموضوع والهدف منه، ومنهجي في البحث، وخطته.

الفصل الثاني: ذكرت فيه تعريف الكبر، ودرجاته ، وأنواعه، وأسبابه ، وعلاجه، وحكمه، ومشتقاته ، ومرادفاته، في الذكر الحكيم.

الفصل الثالث: جعلته بعنوان حديث القرآن عن المتكبرين بسلطانهم وملكهم، وعقابههم الدنيوي والأخروي، وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول بعنوان: تكبر النمرود بسلطانه وعقابه في الذكر الحكيم.

المبحث الثاني بعنوان: تكبر فرعون بملكه وعقابه في النظم الكريم.

الفصل الرابع: حديث القرآن عن الطاغية قارون المتكبر بماله وعقابه الدنيوي والأخروي في الذكر الحكيم.

الفصل الخامس: حديث القرآن عن المتكبرين بقوتهم، قوم عاد أنموذجا.

الفصل السادس: حديث القرآن عن المتكبرين عن العبادة والسجود، إبليس اللعين مثلا.

خاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وقائمة بأهم المصادر والمراجع، وملخص للبحث باللغات: العربية والتركية والإنجليزية.

2. الكبر والمشتقاته ومرادفاته في القرآن

1.2. تعريف الكبر وبيان درجاته و أنواعه و أسبابه وعلاجه وحكمه

تعريف التكبر لغة واصطلاحاً

التكبر لغة : يقول ابن منظور (ت:711هـ): "الكِبَرُ بالكسر وهو العظمة، ويقال كَبُرَ بالضم يَكْبُرُ أي عَظُمَ فهو كبير ابن سيده الكِبَرُ نقيض الصَّغَرِ كَبُرَ كِبَرًا وكُبِرًا فهو كبير وكُبَارٌ وكُبَّارٌ بالتشديد إذا أَفْرَطَ والأنثى بالهاء والجمع كِبَارٌ وكُبَّارُونَ واستعمل أبو حنيفة الكِبَرُ في البُسْرِ ونحوه من التمر".²

"والكبر والتكبر والاستكبار تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وأعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة".³

التكبر اصطلاحاً

حظي مصطلح الكبر بمكانة عالية عند العلماء؛ نظرا لخطورته وعظم جرمه فقد عرفه أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) بقوله: "المتكبر: هو الذي يرى الكلّ حقيراً بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلّا لنفسه، فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد، فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقاً، وكان صاحبها متكبراً حقاً، ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلّا لله - تعالى - وإن كان ذلك التكبر والاستعظام باطلاً، ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه، كان التكبر باطلاً ومذموماً، وكلّ من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص، دون غيره، كانت رؤيته كاذبة، ونظره باطلاً"،⁴ وعرفه آخر بقوله: "أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن. وهو ما قال تعالى: ﴿أَبَى

2 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت:711هـ)، لسان العرب، ط: الثالثة، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 1994م، مادة كبر، 10 / 300.

3 الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم (ت:502هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، ط: الثالثة، دارالقلم، دمشق، 1401هـ، 1981م، مادة كبر، 277/2.

واستكبر⁵، وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾⁶، إذا الكبر هو استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له، وقال الكفوي (ت: 1094هـ): "التكبر هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك التشبّع وهو التزيّن بأكثر ممّا عنده".⁷

وعرف المناوي (ت: 1031هـ): الكبر بقوله: "أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأشنع الكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له، وأصل التكبر، يقال على وجهين: أحدهما أن تكون الأفعال حسنة كثيرة في الحقيقة، وزائدة على محاسن غيره، وعليه وصف الله بالتكبر. الثاني: أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً، وذلك وصف عامة الناس، ومن وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود، وعلى الثاني فمذموم، ويدل على أنه قد يصح أن يوصف الإنسان بذلك، ولا يكون مذموماً".⁸

درجات التكبر

حين تكلم ساداتنا العلماء الأجلاء حول موضوع الكبر فإنهم لم يكتفوا بذكر الأدلة التي تحرم التكبر فحسب، بل قسموه إلى درجات.

4 أبو حامد الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، بدون الطبعة والتاريخ ، 3 / 345.

5 البقرة: 34/2. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي ، ط: الأولى ، دار القلم، الدار الشامية ، بيروت، 1412هـ، 1992م، ص 697.

6 البقرة: 2 / 87.

7 الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، 1998م، ص 18، بدون الطبعة.

8 المناوي، عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت: 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط: الأولى، عالم الكتب، القاهرة، 1410هـ، 1990م، ص 107.

الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرا من غيره،
إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها
الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار
على من يقصر في حقّه، فتري العالم يصغر خذّه للناس كأنّه معرض عنهم، والعابد يعيش
ووجهه كأنّه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيّه صلى الله عليه وسلم. حين
قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.⁹

الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه كالذعاوى والمفاخرة، وتركية النفس، وحكايات الأحوال
في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس
له. وكذلك التكبر بالمال، والجمال، والقوة، ونحو ذلك.¹⁰

أنواع الكبر

التكبر ثلاثة أنواع :

النوع الأول: التكبر على الله - تعالى - هو أقبح وأبشع أنواع الاستكبار، وسبب هذا
النوع من الكبر هو الجهل المحض، مع تشبّع النفس بالطغيان، خاصة إذا التفتّ حول المتكبر
صُحبة متردية الأخلاق، تحبب له الانتفاخ والبطر على الله ؛ حتى تكتسب من ورائه المغايم
التي يبحثون عنه، فهو مطيتهم للوصول إليها، فيتسلّقون على حسابيه قمّة المناصب؛
مُتسلّطين ومُتجَبّرين، وظالمين ومُفسّدين، وقد قص الله - تبارك تعالى - لنا في القرآن الكريم
قصص المتكبرين وما صاروا إليه؛ حين لم يكن يمنعهم من الإيمان بالله سوى الكبر،
والعجب، والفخر، فكان جزاؤهم أن غضب الله - تعالى - عليهم ، وسامهم أشد العذاب . فمن

9 الشعراء: 26 / 215.

10 ابن قدامة المقدسي ، نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن(ت:682هـ) ، مختصر منهاج
القاصدين، ط:الأولى ، مكتبة دار البيان، دمشق، 1398هـ، 1978م ، ص281 .

أمثلة التكبر على الله قولُ فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾¹¹ وقول كفار قريش حين أمروا بالسجود: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾¹² وجمع كل المتكبرين عليه وعلى عبادته قائلًا: المتكبرين فأخبر سبحانه عن عقابهم الأليم في الآخرة قائلًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾¹³.

النوع الثاني: من أنواع الكبر هو التكبر على الرُّسل - عليهم السلام - وهو لا يقل قبحا وبشاعة عن الأول، فالأول أشد وأغلظ، والثاني أشنع وأبشع، وقد ذكر القرآن الكريم أمثلة للتكبر على الرُّسل كقول فرعون ومَن معه لسيدنا موسى - عليه السلام -: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾¹⁴، وقوله فرعون متعاليا على سيدنا موسى - عليه السلام -: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾¹⁵ وقول كفَّار قريش في شأن الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾¹⁶ وقالوا - أيضا - فيما قالوا مستكثرين النبوة على الأمين، ومستعلين عليه ومتكبرين: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾¹⁷.

النوع الثالث: التكبر على الناس من غير المرسلين هو من أنواع الكبر؛ وهو احتقارهم، واستعظام النفس عليهم، وهذا النوع - وإن كان دون الأولين مرتبة - إلا أن إثمه عظيم، وجُرمه كبير، وعقابه أليم في الدنيا والآخرة، وصور هذا النوع كثيرة منها: التكبر

11 النازعات: 24 / 79.

12 الفرقان: 60 / 25.

13 غافر: 60 / 40.

14 المؤمنون: 47 / 23.

15 الزخرف: 52 / 43.

16 الفرقان: 21 / 25.

17 الزخرف: 31 / 43.

بالسلطان كتكبر فرعون والنمرود، والتكبر بالمال كتكبر قارون وأبي بن خلف وأكثر صناديد قريش، والتكبر بالجاه والعظمة كتكبر هامان وزير فرعون، والتكبر بالجمال، والتكبر بالقوة كتكبر قوم عاد وقوم ثمود وغيرهما ممن قصَّ علينا القرآن أخبارهم، والتكبر بكثرة الأتباع والأنصار، والتكبر بأصل الخلقة كتكبر إبليس عن السجود لآدم - عليه السلام - قائلا: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾¹⁸، والتكبر على العباد بأن يستعظم نفسه، ويستحقر غيره ويزدرجه، فيتأبى عن الانقياد له ويطرف عليه.. وهذا وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم إثمه أيضا؛ لأنَّ الكبرياء والعظمة إنما يليقان بالله تعالى وحده.¹⁹

أسباب التكبر

إن الإنسان حين ينظر إلى أي قضية بغرض معالجتها؛ لا بد أن يذكر ما هي الأسباب التي أدت إلى ظهورها؟ وقبل البدء في موضوع التكبر وعلاجه، والتحذير منه؛ لا بد أن يذكر أولا ما هي الأسباب التي تؤدي إلى ظهور هذه الظاهرة الذميمة؟ أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر فإنه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم وتكبر، وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة:

الأولى: سبب في المتكبر: وهو العجب، فهو يورث الكبر الباطن، والكبر يثمر التكبر الظاهر في الأعمال، والأقوال، والأحوال.

الثانية: وسبب في المتكبر عليه: وهو الحقد والحسد، فأما الحقد فإنه يحمل على التكبر من غير عجب، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله، أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه، فأورثه الغضب حقداً، ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن

18 ص: 38 / 76.

19 الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت: 974هـ)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت، 1407هـ، 1987م، ص 90.

يتواضع له، وإن كان عنده مستحقاً للتواضع، فكم من (رذل)²⁰ لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر؛ لحقده عليه، أو بغضه له، ويحمله ذلك على ردّ الحق إذا جاء من جهته، وعلى الأنفة من قبول نصحه، وعلى أن يجتهد في التقدم عليه، وإن علم أنه لا يستحق ذلك، وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه، فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه، ولا يسأله عما هو جاهل به، وأما الحسد فإنه أيضاً يوجب البغض للمحسود، وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو الحسد أيضاً إلى جحد الحق، حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم، فكم من جاهل يشتاقي إلى العلم، وقد بقي في رذيلة الجهل؛ لاستكفاه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسداً وبغياً عليه، فهو يعرض عنه، ويتكبر عليه، مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه .

الثالثة: وسبب فيما يتعلق بغيرهما: وهو الرياء، فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه، وليس بينه وبينه معرفة، ولا محاسبة، ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه، ولا يتواضع له في الاستفادة، خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه، فيكون باعته على التكبر عليه الرياء المجرد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه، وأما الذي يتكبر بالعجب، أو الحسد، أو الحقد، فإنه يتكبر أيضاً عند الخلوة به، مهما لم يكن معهما ثالث، وكذلك قد ينتمي إلى نسب شريف كاذباً، وهو يعلم أنه كاذب، ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب، ويرتفع عليه في المجالس، ويتقدم عليه في الطريق، ولا يرضى بمساواته في الكرامة، والتوقير، وهو عالم باطناً، بأنه لا يستحق ذلك، ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب، ولكن يحمله الرياء، على أفعال المتكبرين، وكأن اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن، صادر عن العجب والنظر إلى الغير، بعين الاحتقار، وهو إن سمي متكبراً، فلأجل التشبه بأفعال الكبر، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة: العجب، والحقد، والحسد، والرياء.

21

20 الدون من الناس ، ابن منظور ، لسان العرب ، 280/11 .

21 أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، 353/3، بتصرف.

علاج التكبر

ما من مرض بدني أو نفسي أو قلبي إلا وله علاج يستأصله من جذوره أو على الأقل يخففه تدريجياً إلى أن يشفى منه الإنسان نهائياً، والكبر لاشك مرض كغيره من الأمراض القلبية التي تصيب الإنسان ولا بد أن له علاجاً بإذن الله، فعلى من ابتلي بشيء منه أن لا يهمله ويركن إليه ويستمر عليه، بل لابد له أن يسعى جهده لعلاجيه والتخلص منه قبل أن يفتك به ويهلكه، وقد ذكر العلماء للكبر علاجاً ناجحاً بإذن الله يتمثل في عدة أمور منها:

- الإيمان الكامل بالخالق - تعالى - ، وبما أخبر به الله، بلغه عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إيماناً صادقاً؛ لأنه إذا وجد المؤمن هذا الإيمان الصادق وتعرفت النفس البشرية على قدرها، وقيمتها، لن تجد أسباباً للكبر، فالله لا يحب المستكبرين قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾²²، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه الكبر، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ).²³

- أن يتذكر المتكبر المغرور أصل خلقه فقد خلق من ماء مهين لو سقط على ثيابه عفوا لاستحي أن يقابل به أصدقائه وأحبابه، وقد وصف الله الماء الذي خلق منه الإنسان بالمهانة فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾²⁴، وأكد على هذا المعنى مرة أخرى، لكي لا يتناسى المتكبر أصل خلقه فقال في موضع آخر: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ

22 النحل: 23/16.

23 أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد، تح: السيد أبو المعاطي النوري، ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1419هـ، 1998 م، مسند سيدنا عبد الله بن مسعود، حديث رقم: 3788، 1/ 399.

24 السجدة: 8/32.

مَهِينٌ»²⁵ فكيف يتكبر من علم أنه خرج من مجرى البول مرتين: مرة من فرج أبيه نطفة قدرة، ومرة من رحم أمه جنينا ضعيفا لا يملك من أمره شيئا.

- على المتكبر المغرور أن ينظر بعين الاعتبار إلى ما عاقب به من هو أشد منه عتواً، وأقوى منه قدرة، كيف عاقبهم بالخسف والمسح والريح السموم وغيرها، وسجلها في القرآن ليعتبر أولى الأبصار فقال العزيز الجبار: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ فكَأَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»²⁶ هذا عذابهم في الدنيا، أما في الآخرة فلهم العذاب الشديد، في جهنم مثوى المتكبرين فأخبر سبحانه عن عقابهم الأليم في الآخرة قائلاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾²⁷ فإذا تذكر العاقل ما أعده الله من عذاب في الدنيا والآخرة للمتكبرين، فلن تسول له نفسه بالتكبر على عباد الله.

- ومن اعتراه الكبر والغرور من جهة النسب فلينظر إلى حال نفسه، فهو المخلوق الضعيف، فقد قال الحسن (ت: 110هـ): "العجب من ابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات، وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾»²⁸ هو سبيل الغائط والبول»²⁹ ومن اعتراه الكبر بالجمال فلينظر إلى باطنه وما فيه من قاذورات وأخبث نظر العقلاء، ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن تكبر بسبب الغني فلينظر إلى من قبله من الأغنياء أين ذهبوا؟ فما أغنت عنهم أموالهم وكنوزهم، وهل نفعمهم غناهم وحجز بينهم وبين الموت؟

25 المرسلات: 20 / 77.

26 العنكبوت: 29 / 39، 40.

27 غافر: 40 / 60.

28 الذاريات: 51 / 21.

29 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 3 / 338.

- أن يتذكر العاقل أضرار التكبر ونتائجه الوبيلة فالكبر طريق يوصل المتكبر إلى غضب الله وسخطه ومقتته ، كما أنه دليل على انحدار النفس إلى دركات السوء وانحطاطها، وكذلك هو يورث العبد البعد عن الله ونهاية البعد عن الناس ، والمغرور يشعر دائما بالعزلة؛ لأنه يظن أنه أفضل من كل الخلق، فليس له في الحياة قرين سوى إبليس اللعين، ويشعر بضيق النفس وقلقها لوحده وغريته في دنياه، المتكبر يشمئز الناس من أخلاقه وصفاته فهو يعيش بينهم كالأجرب الذي يتحاشاه الناس خوفا من العدوى فيتفرقون من حوله.

حكم التكبر

إن من الكِبَر ما يكون كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، يستحق صاحبه الخلود في النار، ومنه ما يكون صاحبه مرتكبًا لكبيرة من الكبائر يستحق العقوبة، ومع ذلك هو تحت مشيئة الله تبارك وتعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

لما تقرر أن الكِبَر يستدعي متكبرًا عليه، فالتكبر عليه إن كان هو الله تعالى، أو رُسُلُهُ، أو الحق الذي جاءت به رسلُهُ فذلك الكِبَر كُفْرٌ وإن كان غير ذلك ، فذلك الكِبَر معصيةٌ وكبيرة، يُخَاف على المتلبس بها المصير عليها أن تُفْضِيَ به إلى الكُفْرِ، فلا يدخل الجنة أبدًا فإن سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ، ونَفَذَ عليه الوعيد، عوقِبَ بالإذلال والصغار، أو بما شاء الله مِنْ عذاب النار، حتَّى لا يبقى في قلبه مِنْ ذَلِكَ الكِبَر مثقالُ ذَرَّةٍ، وخَلَصَ مِنْ خَبَثِ كِبَرِهِ حتَّى يصيرَ كالذَرَّةِ؛ فحينئذ ينداركُهُ الله تعالى برحمته، ويخلصه بإيمانه وبركته. قال صلى الله عليه وسلم: (حتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ) ³⁰ فالذي في قلبه كبر، إمَّا أن يكون كبرًا عن الحق وكراهة له، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة، لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ ³¹ ولا يحبط العمل إلا بالكفر لقوله

30 البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت:256هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، 1414هـ، 1993م ، كِتَابُ الرَّقَاقِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 6081 ، بدون الطبعة.

31 محمد:7/54.

تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³² وأما إذا كان كبراً على الخلق وتعاضماً على الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولاً كاملاً مطلقاً، لم يسبق بعذاب، بل لابد من عذاب على ما حصل من كبره وعلوانه على الخلق، ثم إذا طهر دخل الجنة.³³

ذكر الإمام الذهبي (ت: 661هـ) في كتابه الكبائر حكم الكبر في الشريعة الإسلامية واستدل بآيات وأحاديث عديدة، ثم قال: "وأشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعالى في نفسه بفضيلته، فإن هذا لن ينفعه علمه؛ لأن من طلب العلم للآخرة كسره علمه، وكان سبب لخشوع قلبه، واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد، فلا يغفل عنها طرفة عين بل يحاسبها كل وقت، ويتفقدتها فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم فهذا من أكبر الكبر ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".³⁴

2.2. مشتقات الكبر في القرآن

وردت مادة (كبر) ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة؛ لبيان خطورته وعقاب المتكبرين في الأرض، فقد ورد الفعل الماضي (كَبُرَ) ست مرات في سور: الأنعام،³⁵

32 البقرة: 217/1.

33 أبو العباس، ضياء الدين أحمد بن عمر القرطبي (ت: 656هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ط: الأولى، دار ابن كثير، 1417هـ، 1996م، 286/1.

34 الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 661هـ)، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، ص 78.

35 الأنعام: 35/6.

ويونس،³⁶ وغافر مرتين،³⁷ والشورى،³⁸ والصف،³⁹ وورد الفعل المضارع المزيد (يستكبرون) سبع مرات في الذكر الحكيم في سور: المائدة،⁴⁰ والأعراف،⁴¹ والنحل،⁴² والأنبياء،⁴³ والسجدة،⁴⁴ والصفاء،⁴⁵ وغافر،⁴⁶ وورد اسم الفاعل (متكبر) بأربع صور مختلفة، فورد مفردا معرفا (المتكبر) مرة واحدة في سورة الحشر،⁴⁷ وورد جمعا معرفا (المتكبرين) ثلاث مرات في سور: النحل،⁴⁸ والزمر،⁴⁹ وغافر،⁵⁰ كما ورد اسم الفاعل المزيد المعرف (المستكبرين) مرة واحدة في سورة النحل،⁵¹ وكذلك ورد نكرة (مستكبرين) مرة واحدة في سورة المؤمنون،⁵² وورد الفعل المضارع المسند إلى ضمير الجمع (يتكبرون) مرة واحدة في سورة الأعراف،⁵³

36 يونس: 71/10.

37 غافر: 35 / 40، 56.

38 الشورى: 13 / 42.

39 الصف: 3 / 61.

40 المائدة: 72 / 5.

41 الأعراف: 206 / 7.

42 النحل: 49 / 16.

43 الأنبياء: 19 / 21.

44 السجدة: 15 / 32.

45 الصفات: 35 / 37.

46 غافر: 60 / 40.

47 الحشر: 23 / 59.

48 النحل: 29 / 16.

49 الزمر: 72 / 39.

50 غافر: 76 / 40.

51 النحل: 23 / 16.

52 المؤمنون: 67 / 23.

53 الأعراف: 176 / 7.

ومصدر الكبر المجرد (الكبرياء) مرتين: في سورتى يونس،⁵⁴ والجاثية،⁵⁵ ومصدر استكبر المزيّد (استكباراً) مرتين: في سورتى: فاطر،⁵⁶ ونوح.⁵⁷

نلاحظ من خلال هذا العرض لمادة (كبر) ومشتقاتها في الذكر الحكيم، أن أكثر المشتقات وروداً في كتاب الله هي الفعل المضارع المزيّد (يستكبرون) فقد ورد سبع مرات في القرآن الكريم، وأن أقلها وروداً في كتاب الله هو اسم الفاعل المفرد (المتكبر) فقد ورد مرة واحدة.

"والكِبَرُ والتكَبُّرُ والاستكبار متقاربة في المعنى، فالكِبَرُ حالة يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره، وأقبح الكِبَرُ: التكَبُّرُ على الله وذلك بالامتناع عن قبول الحقّ.

ويأتي الاستكبار على وجهين: الأول: أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يكون كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب فمحمود، والوجه الثاني: أن ينتشع فيُظهر من نفسه ما ليس له، فهذا هو المذموم، وعليه ورد القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾،⁵⁸ وقوله: ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾،⁵⁹ وقوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾،⁶⁰ ونبّه بقوله تعالى: (مُجْرِمِينَ) أن حاملهم على ذلك ما تقدّم من جرمهم، وأنّ ذلك دأبهم لا أنه شيء حادث منهم.

54 يونس: 78 / 10.

55 الجاثية: 37 / 45.

56 فاطر: 43 / 35.

57 نوح: 7 / 71.

58 البقرة: 34 / 2.

59 غافر: 47 / 40.

60 الأعراف: 133 / 7.

وكذلك التكبر يأتي على وجهين: الأول: أن تكون الأفعال الحسنة كبيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾⁶¹ والثاني: أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً، وذلك في عامة الناس؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾⁶² وكل من وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود دون الثاني، ويدل على صحة وصف الإنسان به قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾⁶³.

والكبرياء: الترفع عن الانقياد، وذلك لا يستحقه إلا الله -تعالى-، قال تعالى: "الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فمن نازعني في شيءٍ منهما قصمته".⁶⁴ وقد فرق أبو هلال العسكري (ت:395هـ) بين الكبر والكبرياء فقال: "أن الكبر هو: إظهار عظيم الشأن والكبر في صفات الله - سبحانه - مدح؛ لأن شأن الله عظيم، أما في صفات البشر فهو صفة ذم؛ وذلك لأن شأننا صغير، والكبرياء هي: العز والملك وليست من الكبر في شيء، والشاهد قوله تعالى ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾⁶⁵ يعني الملك والسُّلْطَان والعزة، وأما التكبر فهو إظهار الكبر مثل التشجع إظهار الشجاعة، إلا أنه في صفات الله تعالى بمعنى أنه يحق له أن يعتقد أنه الكبير، وهو على معنى قولهم: تقدس وتعالى لا على ترفع علينا، وقيل: المتكبر في صفاته بمعنى أنه المتكبر عن ظلم عبادة".⁶⁶

61 الحشر: 23/59.

62 غافر: 35/40.

63 الأعراف: 7/146. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص، 697.

64 الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح، محمد علي النجار، ط: الثالثة، القاهرة، 1416هـ، 1996م، 4/326.

65 يونس: 78/10.

66 أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت:395هـ)، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، بدون تاريخ وطبعة، 1/246.

3.2. مرادفات الكبر في القرآن

كل كلمة في القرآن الكريم لها مدلولها الخاص بها، وهي تحمل دلالة لا يمكن أن تجارى في كلمة أخرى بديلة عنها، وهذا من إعجاز القرآن ودقة بيانه، وقد نجد بعض المرادفات لكلمة ، استخدمت في القرآن الكريم، ولكل كلمة من هذه الكلمات دلالاتها الخاصة بها، وعند البحث عن مرادفات كلمة الكبر في القرآن الكريم نجد أنها تدور حول عدة كلمات، هي: الطغيان ، البغي ، البطر، الإستكاف، الغرور ، العجب ، العلو، العتو، وفيما يلي توضيح ذلك:

1.3.2. الطغيان

"الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحد في العصيان، وكل شيء يجاوز الحد فقد طغى، مثلما طغى الماء على قوم نوح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾"⁶⁷ وردت كلمة (طغى) ومشتقاتها في تسعة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، بصيغ وتصريفات مختلفة.

فقد ذكر ابن سلام (ت:200هـ): "ورد الطغيان في القرآن على أربعة أوجه: الوجه الأول: الطغيان بمعنى الضلالة، قال تعالى: ﴿وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾"⁶⁸ الوجه الثاني: الطغيان بمعنى العصيان، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾"⁶⁹ الوجه الثالث: الطغيان بمعنى الارتفاع والتكبر، وذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾"⁷⁰ الوجه الرابع: الطغيان بمعنى الظلم، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَتُفَوُّوا فِي الْمِيزَانِ﴾"⁷¹.

67 الحاقة: 69/ 11. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ط: الثانية ، دار الفكر، بيروت ، 1399هـ ، 1979م، 412/3.

68 البقرة: 15/2.

69 طه: 24/20.

70 الحاقة: 11/69.

تدور مادة طغى في الذكر الحكيم حول تجاوز الحد، فكل من جاوز حده فهو من الطغيان، كالإسراف في المعاصي والظلم، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ﴾⁷² أي أن الإنسان عندما يجد ما يغنيه من المال أو القوة أو المنصب يتجاوز حده بظلم الناس والتكبر عليهم، وأخذ ما ليس من حقه، ومنه - أيضا - قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾⁷³، والطغوى الاسم منه، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾⁷⁴ تنبيهًا على أنهم لم يصدقوا إذ خُوفوا بعقوبة طغيانهم، وقوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾⁷⁵، تنبيه أن الطغيان لا يخلص الإنسان، فقد كان قومُ نوحِ أظغى منهم فأهلكوا، وقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ﴾⁷⁶.

ويؤكد الجوهري (ت:393هـ) على هذا المعنى قائلا: " طَغَى يطغى ويطغو طغيانا، أي جاوز الحد، وكل مجاوز حده في العصيان فهو طاغ، ويطغي يطغى مثله، وأطغاه المال، أي جعله طاغيا، ويطغى البحر، هاجت أمواجه، ويطغى الدُم: تَبَيَّغَ ويطغى السيل، إذا جاء بماء كثير، والطنجية: أعلى الجبل، وكل مكان مرتفع طغوة".⁷⁷

وإذا دققنا النظر سنجد أن هناك فرقا بين الكبر والطغيان إذ إن الطغيان أبلغ من الكبر، "لأن الكبر إظهار عظم الشأن وهو فينا خاصة رفع النفس فوق الاستحقاق، ولكن

71 الرحمن: 8/55. ابن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، النيمي بالولاء، من تميم ربيعة (ت:200هـ)،
التصارييف لتفسير القرآن، تح: هند شلبي، بدون الطبعة والتاريخ، ص/ 341.

72 العلق: 96 / 6.

73 ق: 50 / 27.

74 الشمس: 91 / 11.

75 النجم: 53 / 52.

76 الحاقة: 69 / 11.

77 الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح
العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة، دار العلم، بيروت، 1407 هـ، 1987م، مادة (طغا)،
2412 / 6.

الطغيان مجاوزة الحد في المكروه مع غلبة وقهر يُقال كل مبالغ في كبر أو كفر أو فسَاد أو الظُّلم فقد طغى"، ولذلك الطغيان أبلغ من تكبر".⁷⁸

في نهاية هذا الموضوع أريد أن أشير إلى بعض من مضار الطغيان: أن الطغيان صفة من صفات الكفار والمنافقين يجب علينا أن نبتعد منه لأنه يستوجب غضب الله والعباد ، ونذير شؤم لأهله في الدنيا، ولا يغني عنهم فتيلًا في الآخرة. وكذلك سبب لإفساد المجتمع وهلاك الأمم.

2.3.2. البغي

"الباء والغين والياء أصلان: أحدهما طلب الشيء، والثاني جنس من الفساد، فالأول: بغيت الشيء أبغيه: إذا طلبته، والبغية: الحاجة. يقال: ما ينبغي لك أن تفعل كذا، وأما الأصل الآخر: قولهم بغى الجرح: إذا ترمى إلى فساد، ثم يشتق من هذا ما بعده. فالبغي الفاجرة، يقال: بغت تبغي بغاء، وهي بغي. ومنه أن يبغي الإنسان على آخر فيظلمه، وإذا كان ذا بغي فلا بد أن يقع منه فساد، المعنى الثاني هو المرادف للكبر، فالبغي هو تجاوز الحق إلى الباطل أو ما فيه شبه باطل"،⁷⁹ كما قال تعالى: ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾،⁸⁰

فيمكن القول بأن البغي هو: "شدة الطلب لما ليس بحق بالتغليب، وأصله في العريّة شدة الطلب، ومنه يُقال: دفعنا بغي السماء خلفنا أي شدة مطرها، ويرجع إلى ذلك البغاء وهو الزنا وقيل في قوله تعالى: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾،⁸¹ إنه يُريد التروّس على الناس بالغلبة والاستطالة".⁸²

78 أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، 1/ 247.

79 ابن فارس، مقاييس اللغة، 1/ 272.

80 الشورى: 42/ 42.

81 الأعراف: 7/ 33.

82 أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، 1/ 232.

وقد عرفه الفيروز آبادي (ت: 817هـ) بقوله: "وهو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، تجاوزه أو لم يتجاوزه، فتارة يُعتبر البغي في القدر الذي هو الكمّية، ومرة يكون البغي في الوصف الذي هو الكيف، يقال: بَغَيْتَ الشيء إذا طلبت أكثر ممّا يجب، وابتغيت كذلك، والبُغْي على نوعين: النوع الأول محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوّع، والنوع الثاني مذموم: وهو تجاوز الحقّ إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشُّبه؛ وقد ورد البغي في القرآن على خمسة أوجه: الوجه الأوّل: بمعنى الظلم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾⁸³، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾⁸⁴، الوجه الثاني: بمعنى المعصية، والزَّلّة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾⁸⁵ وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾⁸⁶ أي يعصون الله فيما أمرهم به، الوجه الثالث: بمعنى الحسد: ﴿بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾⁸⁷ أي حسدا فيما بينهم، الوجه الرابع: بمعنى الزنا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾⁸⁸ أي على الزنا والفاحشة، الوجه الخامس: بمعنى الطلب: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾⁸⁹ أي يطلبون لها اعوجاجا، ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾⁹⁰ ولها نظائر كثيرة في الذكر الحكيم.

ولأنّ البغي قد يكون معناه بمعنى الذم أو بمعنى الحمد فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلَ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾⁹¹، فَخَصَّ

83 النحل: 16/90.

84 الأعراف: 7/33.

85 يونس: 10/23.

86 يونس: 10/23.

87 البقرة: 2/213.

88 النور: 24/33.

89 الأعراف: 7/45.

90 المزمل: 73/20.

91 الشورى: 42/42.

العقوبة بمن بغىه بغير الحق، وأبغيتك الشيء: أعنتك على طلبه، وبغى الجرح: تجاوز الحد في ألمه وفساده، وبغت المرأة: إذا تجاوزت الحد في الفجر والفاحشة؛ لتجاوزها إلى ما ليس لها. وبغت السماء تجاوزت الحد في المطر وزاد المطر عن حاجة الناس، وبغى: تكبر؛ لتجاوز منزله، ويستعمل ذلك في أي أمر كان.⁹² وردت كلمة (البغي) ومشتقاتها في اثنتين وتسعين موضعاً في القرآن الكريم، وبصيغ وتصريفات مختلفة.⁹³ ومما سبق يتبين لنا البغي في أكثر المواضع التي وردت في القرآن مذموم، وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾،⁹⁴ أي غير طالب ما ليس له طلبه، ولا متجاوز لما رُسم له.⁹⁵

أن البغي له مضار الكثيرة ولكن أكتفي ببض منها : أن البغي يجلب غضب الرب وسخطه ويتسلط على الباغي بشتى أنواع العذاب، لأجل هذا تحاشي الخلق عن الباغي وبعدهم منه لخوفهم من بطشه، لأنه سبب لخراب الديار و تنهار الدول.

3.3.2. البطر

"الباء والطاء والراء، تدلّ على الشقّ، ويحمل عليها البطر وهو تجاوز الحد في المرح، وقيل: البطر الأشر وهو شدة المرح، وقد بטר (بالكسر) يبطر، وأبطره المال، والبطر أيضاً: الحيرة والدّهش وأبطره: أدهشه، ويقال: بطرت الشيء أبطره بطرا: شققته ومنه سمّي البيطار، وذهب دمه بطرا (بالكسر) أي هدرا.

إن قولك: بطرها: يُفيد أنه عظمها، وبغى فيها، وكفرها يُفيد أنه عظمها فقط، وأصل البطر الشق، ومنه قيل للبيطار بيطار وقد بطرت الشيء أي شققته وأهل اللغة يقولون: البطر

92 الفيروز آبادي، بصائر نوي التمييز، 2/ 263.

93 قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ الشورى: 39/42، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة: 198/2، وقال تعالى: ﴿فَاتَّبِعْهُمْ فَرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوا﴾ يونس: 90/10، وقال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ البقرة: 90/2.

94 البقرة: 2/ 173.

95 ابن فارس، مقاييس اللغة، 3/ 412.

سَوَاءِ اسْتِعْمَالَ النِّعْمَةِ"⁹⁶ وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا﴾⁹⁷، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾⁹⁸.

وبطرح الحق: التكبر عنه والتجبر عنده ورؤيته باطلا، وفي الحديث: (الكبر بطر الحق)⁹⁹، قال ابن الأثير (ت: 630هـ): "هو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلا، وقيل: هو أن يتجبر عنده فلا يراه حقاً، وقيل هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله، وذلك من قولهم: بطر فلان هدية أمره، إذا لم يهتد له وجهه ولم يقبله، وبطر النعمة بطرا فهو بطر، دليل قوله تعالى: ﴿بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا﴾"¹⁰⁰ وقيل معناه: إمّا بطرت أيام معيشتها، وإمّا بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت"¹⁰¹ وقال القرطبي (ت: 671 هـ) في تفسيره معرفا "البطر: هو الطغيان بالنعمة"¹⁰² وقال ابن منظور (ت: 711هـ) في لسان العرب: "أن للبطر معاني كثيرة منها: النشاط، والتبخر، وقلة احتمال النعمة، والدهش والحيرة، والطغيان في النعمة، وكراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهية، فيقال: بطر النعمة ببطرها لم يشكرها،

96 ابن فارس ، مقاييس اللغة ، 1/262.

97 القصص: 28/58.

98 الأنفال: 10/47 ؛ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية ، 1/221.

99 البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت: 256هـ) ، صحيح الأدب المفرد، تح: محمد ناصر الدين الألباني ط: الرابعة، دار الصديق، المدينة المنورة، 1418هـ، 1997 م، رقم حديث: 556، ص 209.

100 القصص: 28/58.

101 ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: 630هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت، 1399هـ ، 1979م، بدون الطبعة ، 1/135.

102 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ، 1964 م، 13/198.

وبطر بالأمر ثقل به ودهش وأبطره المال، وأبطره حلمه، أي أدهشه وبهته، وأبطره ذرعه: حمّله فوق ما يطيق والدّرع البدن، وقيل: العنق".¹⁰³

وقد عرف المناوي (ت: 1031هـ) البطر بقوله: "دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها، ويقاربه الطرب وهو خفة أكثر ما يعتري من الفرح".¹⁰⁴ وردت كلمة (البطر) مرتين في القرآن الكريم، أولاً: في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾،¹⁰⁵ وثانياً: في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾¹⁰⁶ وفي نهاية أشير من بعض مضار البطر وهي: أن البطر يورث البعد عن الله والبعد عن الناس، ودائماً يشعر بالعزلة وضيق النفس وقلقها، وهو سبب لاشمئزاز الناس منه وتفرقهم من حوله، و آخراً طريق موصل إلى غضب الله وسخطه.

2.3.4. الاستكاف

ورد الاستكاف مرتين في القرآن الكريم في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكَفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾،¹⁰⁷ وقد اعتبر الفيروز آباد (ت: 817هـ) أن الاستكاف والاستكبار بمعنى واحد، فليس ثمة فرق بينهما فقال: والاستكاف: الاستكبار، وقال الزجاج (ت: 311هـ) في معنى قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا

103 ابن منظور، لسان العرب، مادة (بطر)، 1/ 300.

104 المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 79.

105 الأنفال: 47/7.

106 القصص: 58/28.

107 النساء: 172 / 4.

وَالْمَلَائِكَةُ¹⁰⁸، أَي ليس يَسْتَنْكَفُ المسيح الذي يزعمون أنه إله أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون وهم أكبر من البشر، قاله الزجاج: ومعنى لن يَسْتَنْكَفَ، لن يَأْنَفَ، وقيل: لن يَنْقَبِضَ ولن يَمْتَنِعَ عن عبودية الله.¹⁰⁹

بيد أن أبا هلال العسكري(ت:395هـ) خالفه في الرأي وفرق بين الاستكفاف والاستكبار فقال: "إن في الاستكفاف معنى الأنفة، وقد يكون الاستكبار طلبها الكبير من غير أنفة وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكَفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾، أي يستكف عن الإقرار بالعبودية، ويستكبر عن الإذعان بالطاعة".¹¹⁰

ومن أضرار الاستكفاف: هو سبب لنزول العذاب في الدنيا، ورفع العافية، وإبدال النعم نقماً، كما أخبر الله تعالى عن قوم سبأ وما هم فيه من نعم الدنيا، ثم تحولت العافية عنهم، وأبدل حالهم من النعمة إلى النقمة بسبب إعراضهم عن أحكام الله وأوامره ورفض الخضوع لشريعته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.¹¹¹

5.3.2. الغرور

"الغين والراء والحرف المعتل: أصل صحيح ، وهو يدل على الإعجاب والعجب لحسن الشيء، ومن ذلك الغري وهو الحسن، ثم سمي العجب غروراً".¹¹²

108 النساء: 4/ 172.

109 الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، 2/ 263.

110 أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، 1/ 248.

111 سبأ: 34/ 16, 15.

112 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4/ 419.

وقال الأصفهاني: "غرر: الغرة غفلة في اليقظة ، والغرار: غفلة مع غفوة ، وأصل ذلك من الغر، وهو الأثر الظاهر من الشيء ، وغره كذا غروراً، كأنما طواه على غره".¹¹³ قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.¹¹⁴

"الغريير: الشاب لا تجربة له، ويقال: أنا غريرك من فلان أي: محذرك منه ، والغرارة : الغفلة وحادثة السن".¹¹⁵

"والغرور بالضم: ما اغتر به من متاع الدنيا، والغرور الأباطيل".¹¹⁶

وقد فسره المناوي(ت:1031هـ): "بأنه كل ما يغر الإنسان من مال، وجاه، وشيطان، ويُفسر بالدنيا لأنها تغر وتتمر وتضر".¹¹⁷ وقال الحرالي(ت:638هـ) "هو إخفاء الخدعة في صورة النصيحة".¹¹⁸ "والغرور: هو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب".¹¹⁹ وقد وردت لفظة الغرور في القرآن على أربعة أوجه: الوجه الأول: بمعنى الباطل، قال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾،¹²⁰ الوجه الثاني: بمعنى الحمق والجهل والضلال البين، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾،¹²¹ الوجه الثالث: بمعنى متاع الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ

113 الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 358.

114 الانفطار: 6/82.

115 مصطفى، إبراهيم وآخرين ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة، ط: الثاني، 1973م، 2/ 649.

116 ابن منظور، لسان العرب ، 12/5.

117 المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ، 1/ 537.

118 المصدر السابق.

119 الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، أبو البقاء الحنفي(ت:1094هـ)، الكليات معجم في

المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ،

1998م، بدون الطبعة ، 1/ 672.

120 النساء: 120/4.

121 ملك: 20/67.

الْغُرُورِ»¹²² الوجه الرابع: بمعنى الخدعة في صورة النصيحة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾،¹²³ لأجل خطيرة الغرور وردت كلمة (غرور) ومشتقاتها في سبعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم .
لأن الغرور يهلك الأمم ويصيب الأفراد بالأمراض النفسية الخطيرة، ويورث الكبر والعجب وغيرهما من أمراض القلب، ومن الناس مغرور بشخصيته، ومنهم مغرور بماله أو بجاهه أو بعشيرته، ولكن أشد الغرور غرور العلماء بعلمهم ويلهيهم عن العمل، هذا هو خسران في الدنيا وعذاب في الآخرة.

6.3.2. العجب

"العُجْب: هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها".¹²⁴ قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾،¹²⁵ وقال الغزالي (ت: 505هـ): "العُجْب: هو استعظام النعمة، والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم"،¹²⁶ "العُجْب: مسرة بحصول أمر، يصحبها تطاول به على من لم يحصل له مثله، بقول أو ما في حكمه، من فعل، أو ترك، أو اعتقاد".¹²⁷

ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا فرق بينا الكبر والعجب وأنها شيء واحد، ولكن ذهب المحققون إلى أن بينهما فرقا.

122 آل عمران: 185/3.

123 الأنعام: 112/6.

124 الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ، 1983م، ص 147.

125 التوبة: 25/9.

126 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 371/3.

127 البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي (ت: 292هـ)، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تح: محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم، بدون الطبعة والتاريخ، 490/6.

وقال الماوردي (ت 450 هـ): "الكبر يكون بالمنزلة، والعجب يكون بالفضيلة، فالمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين"،¹²⁸ وردت كلمة (العجب) ومشتقاتها في سبعة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، وبصيغ وتصريفات مختلفة. قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾،¹²⁹ وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾،¹³⁰ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾،¹³¹ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.¹³²

وفي ختام هذا الموضوع يظهر لنا أن العجب سبب لهلاك الناس وذهاب الخير والبركة في العمر والعيش، إذا كان الشخص يتعجب بنفسه يبتعد عن طاعة الله ورسوله وابتعاد عن طاعتهما هو سبب رئيسي لتعمى القلوب والأبصار ولا يرون الحق، وعاقبته الطرد من رحمة الله، ومصره إلى النار جهنم.

7.3.2. العلو

"العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوا أو ألفا، أصل واحد يدل على السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء. ومن ذلك العلاء والعلو. ويقولون: تعالى النهار، أي ارتفع. ويدعى للعائر: لعا لك عاليا! أي ارتفع في علاء وثبات. قال الخليل: أصل هذا البناء العلو. فأما العلاء فالرفعة. وأما العلو فالعظمة والتجبر. يقولون: علا الملك في الأرض علوا كبيرا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾".¹³³ العلو: ضد السفلى، وقد علا يعلو علواً،

128 الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450 هـ)، *أدب الدنيا والدين*، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407 هـ، 1978 م، ص 182.

129 يونس: 2/10.

130 للتوبة: 55/9.

131 للتوبة: 25/9.

132 الرعد: 5/13.

133 القصص: 4/28. ابن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، 4/113.

وهو عال. وعلى يعلى علا، فهو علي. وقيل: إن (علا) يقال في المحمود والمذموم، و(علي) لا يقال إلا في المحمود، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾.¹³⁴ والعلي: هو الرفيع القدر من: علي، وإذا وصف الله به في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾،¹³⁵ فمعناه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين.¹³⁶

وردت كلمة (العلو) ومشتقاتها في إحدى وسبعين موضعاً من القرآن الكريم، وبصيغ وتصريفات مختلفة. قال تعالى: ﴿وَلْيَتَّبِعُوا مَا عَلُوا تَتَّبِعُوا﴾،¹³⁷ وقال تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾،¹³⁸ وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾،¹³⁹ قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.¹⁴⁰

وأقول في ختام هذا الموضوع كل من يعلو على أمر الله وطاعته أو أمر رسوله وطاعته أو على مخلوقاته هذا دليل على سفول النفس وانحطاطها، لأنه يؤدي إلى الطغيان، والكفر، والفسق، والفجور، وكذلك فيه جرأة عظيمة على الله سبحانه وتعالى، وذلك هو خسران في الدنيا وعذاب في الآخرة.

8.3.2. العتو

العين والتاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على استكبار.¹⁴¹ قال الخليل وغيره: "عتا يعتو عتوا: استكبر. قال تعالى: ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾،¹⁴² وكذلك يعتو عتيا، فهو

134 القصص: 4/28.

135 النساء: 34/4.

136 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 582.

137 الاسراء: 7/17.

138 طه: 64/20.

139 المؤمنون: 91/23.

140 الأعلى: 1/87.

141 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4/225.

عات، والملك الجبار عات، وجبابة عتاة".¹⁴³ قال الكفوي: "العتو: كل مبالغة في كبر أو فساد أو كفر"،¹⁴⁴ و قال الفيروز آبادي: "عتا عتوا إذا استكبر وجاوز الحد في الاستكبار".¹⁴⁵ وقال ابن حجر: "هو الانهماك في الطغيان والمبالغة في الفساد"،¹⁴⁶

ويمكن أن نستخلص من جملة هذه الأقوال أن العتو المذموم هو كل مخالفة لأمر الله عز وجل مصحوبة بالاستكبار ومجاوزة الحد مع التجبر والمبالغة في الفساد. وقد وردت كلمة (العتو) في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الأول : العتو بمعنى الطعن في السن، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾،¹⁴⁷ الثاني: العتو بمعنى القهر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾،¹⁴⁸ الثالث: العتو بمعنى الاستكبار عن الطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾،¹⁴⁹ الرابع: العتو بمعنى العلو في الأرض، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾،¹⁵⁰ الخامس: العتو بمعنى التجاوز في معصية الله تعالى، ومخالفة أمره ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾،¹⁵¹ السادس : العتو بمعنى الطغيان، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ لَّجُوا

142 الفرقان: 21/25.

143 الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: 170هـ)، كتاب العين، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون الطبعة والتاريخ، 2/226.

144 الكفوي ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص598.

145 الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 4/19.

146 ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني، (ت 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دارالريان للتراث، بدون الطبعة، 1407هـ ، 1986م ، 70/12،

147 مريم: 8/19.

148 الحاقة: 6/69 .

149 الأعراف: 7/77.

150 الفرقان: 21/25.

151 الأعراف: 7/166.

فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ¹⁵²، وردت كلمة (العتو) ومشتقاتها في عشرة مواضع من القرآن الكريم، وبصيغ وتصريفات مختلفة.

العتو له المضار و آفة الكبيرة تصيب الأفراد والجماعات وتؤدي إلى الهلاك والخسران للفرد والمجتمع، وتتهار بها الأمم لما ينجم عنها من الخوف وانعدام الثقة، وكذلك يذهب الخير والبركة في الدنيا، ويجلب الفقر والمذلة والهوان على العتاة، وأن العتو يورث الجبن في الأتباع فلا تصل إلى العتاة كلمة الحق فيزداد المجتمع تأخرا وانحطاطا، وكذلك سبب لغضب الله ويورث أصحابه العقاب الأليم في الآخرة .

152 الملك: 67 / 21.

3. المتكبرون بسلطانهم وعقابهم الدنيوي في القرآن

1.3. تكبر النمرود وفرعون بسلطانهما

لقد قصَّ علينا القرآن الكريم قصص المتكبرين بسلطانهم وملكهم، ومن هؤلاء المتكبرين الذين ذكر الله طرفاً من قصصهم النمرود وفرعون اللذين ساقهما كبرهما وطغيانهما فتعديا الحدود وادعيا الربوبية من دون الله وأرادا أن ينازعا الله الجليل في العظمة ورداد الكبرياء، ولم يكن عندهما من المؤهلات والمقومات سوى طغيان تجاوز حد عقل العقلاء، فهما العبدان الضعيفان اللذان لا يملكان نفعا ولا ضرا لأنفسيهما فكيف يملكانهما لغيرهما من البشر.

1.1.3. حديث القرآن عن تكبر النمرود بسلطانه وعقابه

قبل البدء في سرد ما حكاه الله عنه في القرآن، نتعرف من هو النمرود؟ النمرود: هو من ولد حام بن نوح -عليه السلام- بينما سيدنا إبراهيم -عليه السلام- من نسل سام بن نوح -عليه السلام- هو ملك بابل وكان أحد ملوك الدنيا، فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، والكافران: النمرود، وبختنصر، واستمر في الحكم أربعمئة سنة، وطال عمره وغلب على أكثر المعمور، وكان طغى وبغى، وتجبر وعتا، وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع الخالق.¹⁵³

153 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774هـ)، قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، ط: الأولى، دار التأليف، القاهرة، 1388هـ، 1968م، 1/ 187، 188. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد (ت: 808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط: الثانية، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ، 1988 م، 2/ 38.

1.1.1.3. الآية التي وردت في هذا الموضوع

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾،¹⁵⁴ لم ترد قصة النمرود إلا في سورة البقرة، وهي أول السور الطوال، وثاني السور في الترتيب المصحفي، وإحدى الزهراوين، والملقبة بسنام القرآن، فكما يقول ابن منظور (ت:711هـ): " سنام كل شيء أعلاه ... ومجد مسنم أي عظيم"،¹⁵⁵ هذه السورة مدنية. وهي أول سورة نزلت بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، وأما عن عدد آياتها فهي مائتان وست وثمانون آية عند الكوفيين، وسبع عند البصريين، وخمس عند الحجازيين، وأربع عند الشاميين، وأعلى الروايات وأصحها هو العد الكوفي، فإن إسناده متصل بسيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وعدد كلماته ستة آلاف كلمة، ومائة وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمس وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف.

2.1.1.3. اتصال الآية بما قبلها

تحدثت الآية السابقة عن أولياء الله وأولياء الطاغوت، فأولياء الله هم المؤمنون الصادقون، والموحدون العارفون، أما أولياء الطاغوت فهم الكافرون والمتكبرون، وسحقا لعبد اجتمعت فيه هاتان الصفتان، الكفر المبطن بالكبر، فضرب مثلاً للكافر المتكبر وهو النمرود - عليه من الله ما يستحقه - " فانظروا إلى إبراهيم - عليه السلام - كيف كان يهتدي بولاية الله له إلى الحجج القيمة والخروج من الشبهات التي تعرض عليه، فيظل على نور من ربه، فهو مثل لولي الله السائر على منهجه وهي الحنفية البيضاء، ثم ضرب مثلاً بالذي حابه كيف كان بولاية الطاغوت له يعمى عن نور الحجة وينتقل من ظلمة من ظلمات الشبه

154 البقرة: 2 / 258.

155 ابن منظور، لسان العرب، مادة (سمن)، 20 / 21.

والشكوك إلى أخرى، قوله: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾¹⁵⁶، معناه: أن الذي حمله على هذه المحاجة هو إيتاء الله - تعالى - الملك له، فكان منشأ إسرافه في غروره وسبب كبريائه وإعجابه بقدرته إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت وكأنه كان قد سأله عن ربه الذي يدعو إلى عبادته - وقد كسر الأصنام التي تعبد من دونه وسفه أحلام عابديها لأجله - فأجاب بهذا الجواب ، فأنكره الملك الطاغية الذي حكي عنه ادعاء الألوهية لنفسه وقال: أنا أحيي وأميت".¹⁵⁷

وقفة تفسيرية مع قصة نمرود في القرآن:

تبدأ الآية الكريم بسؤال، الموجه إلى شخص النبي - صلى الله عليه وسلم - لجذب انتباه المخاطبين إلى أهمية القصة المذكورة بعدها فلما ذكر الله - تعالى - من الأحكام ما ذكر في الآيات السابقة، قفى عليه بذكر بعض أخبار الماضين؛ لأجل العظة والاعتبار بما تتضمنه الوقائع والآثار، كما هي سنة القرآن، في تنويع التذكير والبيان، بل الانتقال هنا إنما هو من الأحكام مسرودة مع بيان حكمتها، والتنبيه لفائدتها، إلى حكم سبقته حكمته، وتقدمته فائدته، في ضمن واقعة مضت زيادة في البصيرة ومبالغة في الحمل على الاعتبار.¹⁵⁸

حاج النمرود سيدنا إبراهيم بسبب الملك الذي آتاه الله إياه، فبدلاً من أن يشكر النمرود ربه على إعطائه الملك، تكبر وطغى وحاج سيدنا إبراهيم في ربه الذي أمده بالملك والنعم التي يتمرغ فيها صباح مساء، فكان الملك سبباً لإسرافه وغروره، ومنشأً تكبره وبطره وإعجابه بقوته ونفسه.¹⁵⁹

156 البقرة: 258.

157 رضا، محمد رشيد بن علي (ت: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1410هـ، 1990م، بدون الطبعة، 2/ 360.

158 رضا، تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، 2/ 360.

159 الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي (ت: 606هـ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط: الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 1999م، 7/ 21.

فكثير من الكفار مكنهم الله من الدنيا وصاروا ملوكا وزعماء؛ لأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ففرعون الكافر أوتي ملك مصر والأنهار التي تجري تحتها، وكذلك بختنصر الذي سعى في الأرض فسادا وغيرهما من الملوك والرؤساء الكافرين الذين يسعون في الأرض الفساد، ويقتلون الصالحين من العباد، ولا يسيرون إلا إلى الخراب والدمار، فإن قيل: كيف جاز أن يؤتى الله الملك الكافر؟ فيقال: آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع، وأما التغليب والتسليط فلا.¹⁶⁰

وفي هذه الآية دليل قاطع على أن الملك في أغلب أحيانه يكون وبالا ودمارا على صاحبه إن لم يصنه بتقديم الشكر لمن منحه إياه، فالنمرود لما قابلا نعمة الملك بالجنود والنكران، جعله الله عبرة لمن يتكبر بسلطانه وكرسيه وعزه، فأذله الله ولم يجد له من دون الله نصيرا.

وافتح سيدنا إبراهيم المحاجة بجواب عن سؤال مقدر سأله النمرود قائلا: من ربك؟ فقال سيدنا إبراهيم: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بدأ سيدنا إبراهيم - عليه السلام - الحجة بدلالة عجز الناس عن إحياء الموتى، فلا يقدر عليها إلا الخالق - سبحانه وتعالى - وأراد بأن الله يحيي أنه يخلق الأجسام الحية من الإنسان والحيوان وهذا معلوم بالضرورة، وفي تقديم الاستدلال بخلق الحياة إدماج لإثبات البعث؛ وذلك لأن النمرود الذي حاج إبراهيم - عليه السلام - كان من عبدة الأصنام الذين ينكرون البعث، وذلك موضع العبرة من سياق الآية في القرآن على مسامع أهل الشرك، ثم أعقبه بدلالة الإمامة، فإنه لا يستطيع تنهية حياة الحي، ففي الإحياء والإمامة دلالة على أنهما من فعل فاعل غير البشر، فالله هو الذي يحيي ويميت، فالله هو القادر دون غيره من الذين لا حياة لهم أصلا، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، كالأصنام والأوثان والشمس والقمر وغيرها مما اتخذها أكثر الجهلاء آلهة من دون الله إذ

160 الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت: 538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط: الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ، 1987م، 1/ 305.

لا يعطون الحياة غيرهم وهم فاقدوها، ودون من لا يدفع الموت على نفسه مثل هذا الذي حاج إبراهيم.¹⁶¹

ونلاحظ من خلال هذه المحاجة بين سيدنا إبراهيم والنمرود أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وصف الله -تعالى- بما هو صفة له من الإحياء والإماتة، فقال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ لكنه أمر له حقيقة ومجاز، قصد إبراهيم عليه السلام الحقيقة، ففزع نمرود إلى المجاز وألبس به على عامة قومه، فقال: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾، فسلم له إبراهيم تسليم الجدل.¹⁶²

أراد سيدنا إبراهيم -عليه السلام- من قوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، أن الله هو الذي يخلق والموت والحياة في الأبدان، وأراد النمرود الكافر: أنه يستطيع أن يعفو عن القاتل فيكون ذلك إحياء له، وعلى أن يقتل بريء فيكون ذلك إماتة له، فكان هذا جواباً أحقق، لا يصح نصبه في مقابلة حجة سيدنا إبراهيم -عليه السلام-؛ لأنه أراد غير ما أراد الكافر، فلو قال له: ربه الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد فهل تقدر على ذلك؟ لبهت الذي كفر في أول الأمر، وما حار جواباً لقول سيدنا إبراهيم، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى تنفيها لخنائهم، وإرسالاً لعنان المناظرة.¹⁶³

ونقل البقاعي (ت: 885هـ) عن الحرالي (ت: 638هـ) قوله: "ولما كان من حسن الاحتجاج ترك الجدل بمتابعة الحجة الملبسة كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ

161 الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، بدون الطبعة، 1984 هـ، 1404 م. 3/ 33.

162 ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ، 1993 م، 1/ 346.

163 الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ)، فتح القدير، ط: الأولى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1414 هـ، 1994 م، 1/ 318.

ظاهراً¹⁶⁴، نقل المحاج من الحجة الواقعة في الأنفس إلى الحجة الواقعة في الآفاق بأعظم كواكبها الشمس ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾¹⁶⁵، ففي ظاهر الاحتجاج انتقال وفي طيه تقرير الأول، لأن الروح شمس البدن، فكأنه ضرب مثل من حيث إن الإحياء إنما هو أن يؤتى بشمس الروح من حيث غربت فكان في ظاهر واستقبال حجة قاطعة باطنه تتميم للحجة الأولى قال تعالى: (فإن) بالفاء الرابطة بين الكلامين إشعاراً لتتمة الحجة الأولى بالحجة الثانية¹⁶⁶.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ وهذه الحجة الثانية التي احتج بها سيدنا إبراهيم على النمرود لما عارضه في الحجة الأولى، وليس هذه الحجة انتقال من حجة إلى حجة كما زعم البعض؛ لأن الحجة الأولى كانت لازمة، ولكن لما عاند اللعين حجة الإحياء بالعفو عن واحد وقتل آخر، كلمه من وجه لا يستطيع معه المعاندة والجدال، فقد كانوا أهل تنجيم، وعلم بحركة الكواكب من المغرب إلى المشرق، والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحرّك الماء النمل على الرحي إلى غير جهة حركة النمل فقال: إن ربي يحرك الشمس قسراً على غير حركتها، فإن كنت رباً فحركها بحركتها فهذا الأمر أسهل وأهون¹⁶⁷.

164 الكهف: 81 / 53.

165 فصلت: 41 / 53.

166 البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ، 4 / 51.

167 النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، ط: الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ، 1998م، 1 / 131.

قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ وهو النمرد - عليه من الله ما يستحقه - ومعنى كلمة (بهت) أي دهش وتحير،¹⁶⁸ بمعنى أعجزه عن الجواب فعجز، أو فاجأه بشيء ما يستطع أن يرده ويدفعه، وسبب هذه الحيرة التي تملكت النمرد هو أن التحدي قائم، والأمر ظاهر، ولا سبيل إلى سوء الفهم، أو الجدل والمراء.. وكان التسليم أولى والإيمان أجدر، ولكن الكبر عن الرجوع إلى الحق يمسك بالذي كفر، فبيهت ويبلس ويتحير، ولا يهديه الله إلى الحق، لأنه لم يتلمس الهداية، ولم يرغب في الحق، ولم يلتزم القصد والعدل.¹⁶⁹

وفي الآية أعظم دليل على جواز المجادلة والمناظرة مع الكفار والمشركين لتثبيت العقائد الإيمانية في قلوب العامة، والقرآن مملوء بذلك، لكن الجدل الذي نهى عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الجدل في الباطل، والمراء بالخطأ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَيْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا....)،¹⁷⁰ كما أن فيها تحذير لمن لا يؤدون شكر النعم التي ينعم بها الله عليهم، فإن شكر النعمة سبب لاستمرارها ودوامها، وكفر النعمة سبب لمحقتها وزوالها.

ولما تمالى ذلك الطاغية في طغيانه، واستمر في كبره وغيه، وظن أن لا عاصم له من الله، فأرسل الله عليه جندا هين وهو ذبابا من البعوضة صغيرة، أذاقته من الويل ألوانا، ولم يستطع من ادعى الألوهية أن يغلب على حشرة صغيرة، بحيث لم يروا عين الشمس، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهن عظاما بالية، ودخلت واحدة منها في منخري الملك، فمكنت في منخريه أربعمئة سنة عذبه الله تعالى بها، ولم يستطع إنقاذ نفسه

168 الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة بهت، 1/ 148.

169 قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط: السابعة عشر، دار الشروق، القاهرة، 1412 هـ، 1992 م، 1/ 298.

170 أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، باب في حسن الخلق، حديث رقم: 4802، بدون طبعه وتاريخه، 4/ 400.

من حشرة صغيرة، فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله - عز وجل - بها.¹⁷¹

تمرد النمرود بسبب الملك الذي آتاه الله، لما قابلا نعمة الملك بالجحود والنكران ، جعله الله عبرة لمن يتكبر بسلطانه وكرسیه وعزه ، فأذله الله ولم يجد له من دون الله نصيرا.

2.1.3. حديث القرآن عن تكبر فرعون بملكه وعقابه

1.2.1.3. نسب فرعون وأصله

يظن بعض الناس أن فرعون اسم ملك، ولكن عند التدقيق نعرف أن (فرعون) هو لقب كان يطلق على حاكم مصر في العصر القديم؛ لذلك يقال: فرعون موسى؛ لتمييزه عن بقية الفراعنة، كلقب قيصر لمن حكم الروم، وكسرى لمن حكم الفرس، فكلها ألقب لحكام حكموا البلاد المذكورة، وفرعون لقب أعجمي ممنوع من الصرف، يقول الشيخ رشيد رضا (ت:1354هـ) في تفسيره: " فرعون لقب لمن تولى ملك مصر قبل البطالسة، وإله خاصته، وقد يطلق على قومه قدماء المصريين"¹⁷² وأصبح لقبا لكل إنسان طاغية تكبر في الأرض وطغى على خلق الله، اختلف العلماء في اسم فرعون موسى، الأول: فحكى ابن جريج عن قوم أنهم قالوا: مصعب بن ريان، وقال ابن إسحق: هو الوليد بن مصعب، ولكنهم اتفقوا على أنه لم يكن من الفراعنة أحد أشد غلظة ولا أقسى قلبا منه، وذكر وهب بن منبه أن أهل الكتابين - اليهود والنصارى - قالوا: إن اسم فرعون كان قابوس وكان من القبط، الثاني: قال ابن وهب: إن فرعون يوسف -عليه السلام- هو فرعون موسى وهذا غير صحيح، إذ كان بين دخول يوسف مصر وبين أن دخلها موسى أكثر من أربعمائة سنة، وقال محمد بن إسحق: هو غير

171 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري(ت:774هـ)، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: الأولى، دار هجر ، القاهرة، 1418 هـ، 1997 م، 1/ 345.
172 رشيد رضا، تفسير المنار، 9/ 35.

فرعون يوسف، وأن فرعون يوسف كان اسمه الريان بن الوليد، أما آل فرعون فلا شك أن المراد منه،¹⁷³

وفرعون في القرآن دالة على معنى السلطة الظالمة الطاغية المستبدة التي تدعي الألوهية، وتستغل سداجة الشعب لتسخيره وإذلاله وفرض الطاعة عليه.

2.2.1.3. المرات التي ذكر فيها قصة فرعون في القرآن

وتكررت كلمة فرعون في القرآن الكريم أربع وسبعين مرة، في سبع وعشرين سورة من سور القرآن، وأكثر ما وردت فيه في سورة الأعراف، وسورة القصص، وسورة غافر، ارتبط اسم فرعون وجنوده بأوصاف ذكرها القرآن، وأهمها ما يلي: أولاً: الكفر بآيات،¹⁷⁴ والتكذيب بآيات ربهم،¹⁷⁵ وسوم الناس سوء العذاب،¹⁷⁶ والعلو في الأرض،¹⁷⁷ والطغيان والاستكبار في الأرض،¹⁷⁸ وغيرها من الأوصاف الذميمة التي إن دلت فإنما تدلل على شدة بغي وطغيان الموصوف بها وعدم رحمته وقلة عقله، وهذه الصفات التي وصف القرآن بها فرعون وقومه جعلت فرعون يمثل شخصية المستبد الطاغية المعاند الذي يكفر بآيات الله ويكذب بها، ويدعي لنفسه الألوهية والملك والسلطان، فهو الظالم القاتل المستحي للنساء المذبح للأطفال؛ ولذلك اتجهت دعوة الأنبياء والرسل لمقاومة هؤلاء الطغاة، لتحرير الإنسان الذي وقع عليه الظلم، ولتقويته ولشد أزره، لكي يقاوم ويرفض ويتمرد، ومن الطبيعي أن يستجيب الضعفاء لدعوة الأنبياء وأن يقف الأنبياء إلى جانب هؤلاء المستضعفين، لتخليصهم من سوء العذاب

173 الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 3 / 505.

174 ينظر سورة الأنفال: 7 / 52.

175 ينظر سورة الأنفال: 7 / 54.

176 ينظر سورة البقرة : 2 / 49.

177 ينظر سورة القصص: 28 / 4.

178 ينظر سورة طه: 20 / 24، والقصص: 28 / 39.

الذي يسلطه عليهم آل فرعون، لكي تستقيم مسيرة البشرية، وانتهت قصة موسى وفرعون بانتصار الحق على الباطل، وأغرق الله آل فرعون في اليم، وامتن الله على بني إسرائيل بما أسبغه عليهم من نعمة فضّلهم به على غيرهم.

وتعتبر قصة فرعون مع سيدنا موسى -عليه السلام- من القصص العجيب الذي ذكر في القرآن عشرات المرات؛ لكونها مشتملة على حكم عظيمة وعبر بالغة وعظات مؤثرة، وفيها نبؤه سبحانه مع المؤمنين والظالمين بإعزاز المؤمنين ونصرهم وإدلال الكافرين وخذلانهم، كما أن فيه تسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه إن أؤذي من قومه فقد أؤذي سيدنا موسى إيذاء شديدا منذ طفولته حتى وفاته.

3.2.1.3. التحليل التفسيري لقصة فرعون

ونظر لكثرة ورد قصة فرعون في القرآن فسوف اقتصر على نموذج واحد لبيان شدة تكبره بملكه وطغيانه فقد تناولت سورة الشعراء هذه القصة تناولاً تفصيلياً لأحداثها، كما أنها أبرزت شخصية فرعون الطاغية والمتكبرة عند حوارهِ مع سيدنا موسى، وتغذيهِ لبني إسرائيل بتذبيح أبناءهم واستحياء نساءهم، وتغذيهِ للسحرة الذين آمنوا بدين سيدنا موسى -عليه السلام- وكذلك لما ورد في سياقها الدلالات والإشارات التي تخدم السياق، وتعضد المقام، وفي القصة يبدو عناد فرعون وملئه، وعدم انصياعهم لدعوة سيدنا موسى وهارون، بل توعدهما بالسجن والقتل إن هما عبداً غير الله، فوضح لهم سيدنا موسى بالدليل أن الله هو المستحق للعبادة، وأن فرعون مخلوق كأبي مخلوق، فلا عبادة لمثله من البشر، فأيد الله رسوله بالمعجزات، وأمره بالذهاب إليه وإسداء النصيح له لعله يهتدي ويرجع عن غيه فقال تعالى: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾¹⁷⁹ "وقد تكرر هذا الأمر والوصف مرتين في القرآن لبيان شدة طغيانه وتمرده على خالقه فاذهب إلى عبد ضعيف من عبادي، بطر نعمتي وأمن مكري

179 طه : 24 / النازعات: 17 / 17.

وغرته الدنيا حتى جدد حقي وأنكر ربوبيتي، أقسم بعزتي لولا الحجة والقدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار، ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وحذره نقمتي"،¹⁸⁰ والوصف بالطغيان يحمل في طياته التحذير الشديد من فرعون فإن أمره عظيم، وخطبه جسيم، يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط، وصدر فسيح، قلب ضابط،¹⁸¹ ولما ذهب إليه موسى ما زاد نصيح المتكبر إلا عناداً واستعلاء، ولكن لكل ظالم نهاية، وكانت نهاية هذا اللعين، أن أغرقه الله في البحر، وليس له نصير هو ومن تبعه من المستهزئين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، بالإضافة إلى ما ينتظره من عذاب شديد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾،¹⁸² وجمع الله في آية واحدة عذاب الطاغية فرعون في الدنيا وعذابه في الآخرة فقال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾،¹⁸³ وقبل البدء في تحليل الآيات تحليلاً تفسيريًا أذكر الآيات محل البحث ثم أتحدث عن سورة الشعراء .

4.2.1.3. الآيات التي وردت في هذا الموضوع

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَازُونَ * وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون * قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا

180 أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: 745هـ) ، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 2000م، بدون الطبعة، 7 / 326.

181 البقاعي، نظم الدرر، 12 / 273.

182 غافر: 46 / 40.

183 نوح: 20 / 71.

مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ
 الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
 تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
 الْأُولِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ
 بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ
 يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ
 أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ
 سَحَابٍ عَلِيمٍ * فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ
 السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ
 الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُقْنُونَ * فَأَلْقَوْا
 حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ
 مَا يَأْفِكُونَ * فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ
 لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ
 مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا
 خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ
 فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
 حَادِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
 إِسْرَائِيلَ * فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا
 إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطُّودِ الْعَظِيمِ*وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ*ثُمَّ أَغْرَقْنَا
الْآخِرِينَ*إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ*وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ*¹⁸⁴

وردت الآيات في سورة الشعراء وقد نزلت هذه السورة بعد سورة الواقعة، "وهي سورة
مكية إلا أربع آيات، فإنها مدنية من قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾"¹⁸⁵ إلى آخر
السورة "¹⁸⁶

5.2.1.3. التحليل التفسيري للآيات

دعوة موسى لفرعون

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمٌ فُزِعُونَ أَلَا
يَتَّقُونَ﴾¹⁸⁷ وصف القوم بالظالمين؛ لبيان ماهية القوم الذين أرسل إليهم سيدنا موسى -عليه
السلام- وهو أعرف الناس بهم، ولكن نظراً لمكثه بعيداً عنهم بمدينة فترة طويلة قد يظن أن
طبيعتهم تغيرت، أو أن حالهم تبدلت من السيئ إلى الحسن، ولكن ذلك لم يحدث، فهم
مستمرون على ظلمهم وطغيانهم وتكبرهم الذي منعهم من قبول الحق.

كما أن في هذا الوصف إثارة لغضب سيدنا موسى -عليه السلام- على هؤلاء
الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بعبادتهم غير الله، وظلموا غيرهم من بني إسرائيل باستعبادهم
وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، ففي هذا الوصف استحضار قوم فرعون بوصفهم بالقوم
الظالمين، إشارة إلى سبب إرسال سيدنا موسى إليهم لكونهم من الطاغين الظالمين لأنفسهم
بعبادتهم فرعون من دون الله، وفي هذا الإجمال توجيه نفس موسى لترقب تعيين القوم بما

184 الشعراء: 26 / 10 - 69.

185 الشعراء: 26 / 224.

186 الرازي، التفسير الكبير، 24 / 490.

187 الشعراء : 26 / 10، 11.

بيّنه، وتحذير له من شدة طغيانهم ليأخذ حذره، وبعد عدته، كما أن فيه إثارة لغضب موسى -عليه السلام- على هؤلاء الظالمين حتى ينضم داعي غضبه عليهم، إلى داعي امتثال أمر الله الباعثه إليهم¹⁸⁸

ولما كان هذا الوصف يعم خلائق كثيرة حدد بعطف البيان في قوله تعالى: (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) فهؤلاء هم المرسل إليهم، ونسبوا إلى فرعون؛ لأنه هو الذي استخفهم فأطاعوه، وادعى أنه إلههم فعبدوه، وجاء هذا البيان؛ لإظهار أن فرعون وقومه أصبحوا مشهورين بهذا الوصف، فسواء ذكروا بوصف (الظالمين) أو ببيانه (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) فلا فرق فالنتيجة واحدة، ويذكر العلامة أبو السعود (ت: 982هـ) السبب في مجيء هذا البيان فقال: "جيء به للإيذان بأنهم علم في الظلم، واشتهروا به كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون".¹⁸⁹

وكرر لفظة (قوم) في قوله تعالى: (أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) للتأكيد على أنهم ليسوا بعيدين عن العقاب، فهم مشاركون لفرعون فيما صنع، وهو صنع ما صنع لأنهم أرادوا ذلك؛ ولأن طبيعتهم تحتم أن يولي عليهم مثل هذا، فكما تكونوا يول عليكم والحكام إفرافات الشعوب، فإن كان القوم ظالمين يول عليهم مثلهم، وإن كانوا عدولاً يحكمهم عادل؛ لذلك قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾،¹⁹⁰ ولم يقل في تذييل الآية إنه كان من الفاسقين إنما قال: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)، إشارة إلى ما ذكر، وليس هذا تنحية لفرعون عن هذا الوصف، بل هو داخل فيه، وإنما اقتصر الحكيم على ذكر قومه دونه للإيذان بشهرة أن فرعون أول من يداخل في الحكم (الظالمين).¹⁹¹

188 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 19/ 104.

189 أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، 195/5.

190 الزخرف: 43/ 54.

191 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 195/5.

(ألا يتقون) هذه الجملة تبين لنا سوء صنيع قوم فرعون، وبأن الأجر والأليق بهم أن يتقوا الله ويخافوا عقابه، ولكنهم نكصوا على أعقابهم، وارتدوا على أدبارهم، فلم يؤمنوا ويتقوا، كما أن هذه الحال فيها حث لسيدنا موسى وأتباعه على أن يتزودوا بالنقوى حتى يستعدوا لحمل الأمانة الثقيلة التي ستلقى على أكتافهم، وهذا ليس بغريب،¹⁹² " فكم من آية نزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين، تدبراً لها، واعتباراً لموردها".¹⁹³

فقال تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وََجَعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾،¹⁹⁴ طلب سيدنا موسى - عليه السلام - من ربه أن يرسل معه هارون؛ لأنه أفصح منه لساناً، فبشره الله - تبارك وتعالى - بتلك البشرى بأنه سيقويه ويعينه بأخيه، والعضد هو ما بين المرفق والكتف، وخص النظم العضد بالذكر؛ لأن بقوته يقوى الساعد، وبقوة الساعد تظهر قوة الشخص، فبه ترفع الأثقال، وعليه تحمل الأثقال، وشد العضد كناية عن التقوية، وإليه أشار العلامة الألوسي (ت: 1342هـ) قائلاً: "(سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) كناية تلويحية عن تقويته؛ لأن اليد تشد بشدة العضد".¹⁹⁵ وقد يكون شد العضد مجازاً مرسلًا علاقته السببية من إطلاق السبب وإرادة المسبب، فقد أطلق شد العضد وأراد قوة الشخص البدنية، فإن شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد، وشد اليد مسبب لقوة الشخص، فشد العضد سبب لقوة الإنسان، وعبر النظم بكلمة (أخيك) دون هارون، تثبيتاً لقلب سيدنا موسى - عليه السلام - وإشاعة للطمأنينة في فؤاده.

ووجه النظم الكريم الخطاب في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالْ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ

192 الزمخشري، الكشاف، 350/3.

193 الزمخشري، الكشاف، 251/3.

194 القصص: 35/28.

195 الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1995م، 78/20.

الضَّالِّينَ»¹⁹⁶ إلى فرعون الطاغية وحده لأنه علم من تفصيل كلام موسى وهارون، أن موسى هو الرسول بالأصالة، وأن هارون كان عوناً على التبليغ فلم يشتغل بالكلام مع هارون.¹⁹⁷

(وَلِيداً) "الوليد: الطفل من وقت ولادته وما يقاربها، فإذا كَبُرَ لا يطلق عليه اسم وليداً، ولكن يسمى طفلاً".¹⁹⁸

وقد قيدت التربية بتلك الفترة، وهي ما بعد الولادة؛ لأنها الفترة التي يكون فيها الإنسان أحوَج ما يكون إلى مربيه، ليجلبوا له طعاماً، أو يدفعوا عنه أذى، فيتلقي التربية كاملة في تلك الفترة وليس له فيها ثمة تدخل، أما إذا كبر لوليد وشب عن الطوق، فإنه يبحث لنفسه عن طعام، ويبتعد عن أي أذى يصيبه، بخلاف الوليد الصغير، ولما كان المقام مقام امتنان من فرعون على سيدنا موسى - عليه السلام -، اختار الفترة التي تلقى فيها سيدنا موسى - عليه السلام - الرعاية الكاملة من قبل فرعون وحاشيته لقصد التأثير عليه عند مجادلته.

(التي فعلت) الفعلة التي يعاير بها فرعون اللعين سيدنا موسى - عليه السلام - هي قتل الإسرائيلي خباز فرعون قال أبو السعود (ت: 982هـ): "(فعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي، بعد أن عدد عليه نعمته من تربيته، وتبليغه مبلغ الرجال، وبخسه بما جرى عليه من قتل خبازه، وعظم ذلك وقطعه".¹⁹⁹

وعدل النظم عن ذكر فعلة معينة وهي قتل القبطي إلى ذكرها مبهمة، مضافة إلى الضمير العائد إلى سيدنا موسى - عليه السلام -، ثم وصفها بما لا يزيد على معنى الموصوف وذلك تهويلٌ مرادٌ به تفضيع الفعلة وتعظيمها، وإظهار أما العامة أنها مشهورة ومعروفة، مع تحقيق إلصاق تبعثها به حتى لا يجد اتصالاً منها.²⁰⁰

196 الشعراء: 26/18 - 20.

197 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 110/19.

198 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 111/19.

199 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 197/5.

200 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 112/19.

وعبر فرعون عن الأعوام التي قضاها سيدنا موسى -عليه السلام- بين أظهرهم بالسنين التي تدل على سنوات الشدة والقحط والجذب؛ لأن هذه الأعوام كانت في وجهة نظر فرعون سنوات شقاء وبلاء، فلم يجن من ورائها إلا عصيان موسى عليه، وسلب بساط الملك من تحت أقدامه، فلم تثمر بالنسبة له ثمرة تؤتي أكلها، وأشار إلى هذا المعنى البقاعي فقال عن سبب ذكر سنين دون أعوام عبر بما يفهم النكد والشقاء كناية عن مدة مقامه عنده بأنها كانت نكدة؛ لأنه وقع فيما كان يخافه، وفاته ما كان يحتاط به من ذبح الأطفال.²⁰¹

(وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) أورد النظم في هذه الحال لها أكثر من معنى، فقد يكون معناها فعلت ما فعلت من قتل القبطي وأنت من الكافرين بنعمتي المنكرين لتربيتي ورعايتي، أو أنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة - وقد افتري عليه أو جهل أمره لأنه كان -أي سيدنا موسى عليه السلام- يعايشهم بالنقية - أي المدارة - فإن الله - تعالى - عاصم من يريد أن يجعله نبينا ويستخلصه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر؟ أو بأنه من الكافرين بفرعون وألهيته،²⁰² فأجاب سيدنا موسى -عليه السلام- فقال: ﴿فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل، أو الذاهبين عن الصواب، أو الناسين كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾²⁰³. وهذه التأويلات أحسن من تفسير (الضالين) بالجاهلين؛ لأن الخطأ والنسيان ليسا قدحاً في النبوة، فسيدنا آدم -عليه السلام- نسي وأكل من الشجرة، ونوح - عليه السلام- أخطأ ودعا لابنه الكافر، بخلاف نسبة هؤلاء الصفوة إلى الجهل، وسيدنا موسى - عليه السلام- واحد منهم، فلا ضير في ذلك،

201 البقاعي، نظم الدرر، 354/5.

202 الزمخشري، الكشاف، 354/3.

302 البقرة: 2/ 282. الزمخشري، الكشاف، 354/3.

هذا وقد رفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين رباً بمحل من رشح للنبوّة عن تلك الصفة.²⁰⁴

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾،²⁰⁵ إن فرعون كثيراً ما كان يَمُنُّ على سيدنا موسى بتربيته إياه، فالَمَن من اللعين متكرر، فأنكر سيدنا موسى - عليه السلام - أن تكون تربيته إياه على سبيل النعمة بل هي نقمة في صورة نعمة؛ لأن هذه التربية كانت نتيجة لتعذيبه بني إسرائيل وقتل آبائهم، فكان هذا الكلام من جهة سيدنا موسى إنكار على فرعون ومِنَّته عليه، أي أتمن على بأن ربيتي وليداً، وقد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم؟ ... والمعنى لو لم تقتل بني إسرائيل لرباني أبوي، فأني نعمة لك على، أفأنت تمن على بما لا يجب أن تمن به؟،²⁰⁶ ومن هذا الكلام يتبين لنا أن كلام سيدنا موسى - عليه السلام - على سبيل الإنكار، وليس على سبيل الإقرار،²⁰⁷ في قوله تعالى: ﴿أَنْ عَبَّدَتْ﴾؛ لبيان سبب عدم الإقرار بالنعمة التي عدها فرعون؛ لأنه قام باستعباد أسلافه من بني إسرائيل، وربط صاحب التفسير الكبير بين المعنيين قائلاً: "فإن قيل كيف يكون ذلك جوابه ولا تعلق بين الأمرين - أي الإقرار بالنعمة وتعبيد بني إسرائيل - قلنا: بيان التعلق من وجوه الأول: أنه إنما وقع في يده وفي تربيته؛ لأنه قصد تعبيد بني إسرائيل وذبح آبائهم، فكأن سيدنا موسى - عليه السلام - قال له: كنت مستغنياً عن تربيتك لو لم يكن منك ذلك الظلم العظيم على أسلافنا، الثاني: أن هذا الإنعام المتأخر صار معارضاً بذلك الظلم العظيم على أسلافنا فإذا تعارضاً

204 الزمخشري، الكشاف، 354/3.

205 الشعراء: 26 / 22.

206 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4812/6.

207 الزمخشري، الكشاف، 355/3 .

تساقطاً، الثالث: إنك استعبدتهم وأخذت أموالهم ومنها أنفقت علي، فلا نعمة لك بالتربية، الرابع: أن الذي تولى تربيتي هم الذين قد استعبدتهم، فلا نعمة لك علي، لأن التربية كانت من قبل أمي، الخامس: إنك كنت تدعي يا فرعون أن بني إسرائيل هم عبيدك، ولا منة للمولى على العبد في أن يطعمه ويعطيه ما يحتاج".²⁰⁸

لما تمادى فرعون في كبره وطغيانه، وسأله سيدنا موسى - عليه السلام - عن رب العالمين الذي يدعو الناس لعبادته، أجابه سيدنا موسى بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾،²⁰⁹ بأنه رب السموات والأرض وخص تلك الصفة بالذكر؛ لأنه لا يشاركه فيها أحد،²¹⁰ ولو ادعى أحد من البشر أنه خالقهما لكذبه الناس؛ لأنهما فوق مقدرة البشر.

وختم سيدنا موسى - عليه السلام - بقوله (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) أي إن كنتم موقنين بشيء فهذا أول ما توقنون به؛ لشدة وضوحه وظهوره، مع أن سيدنا موسى - عليه السلام - أثناء خطابه لفرعون وأعوانه متأكد من عدم إيقانهم بأن الله خالق السموات والأرض، وإنما كان ذلك منه عليه السلام على سبيل الذين في دعوته لخصمه تنفيذاً لأمر الله حينما أمره هو وأخاه هارون بقوله ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.²¹¹

بقي أن نتعرف على سبب ذكر الخاص بعد العام في قوله ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ فبعد أن عمم بأنه رب السموات والأرض وما بينهما، خص بأنه رب فرعون وأسلافه مع أنهم مما بين السموات والأرض، وذلك؛ لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه وأولاده

208 الرازي، التفسير الكبير، 127/24.

209 الشعراء: 24 / 26.

210 ابن السمين، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: علي محمد معوض وآخرون، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ، 1991م، 271/5.

211 طه: 44 / 20.

وأحفاده وأسباطه، وما شاهد وعاین من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة، وحال إلى حال، من وقت ميلاده إلى وقت وفاته،²¹² وفي هذا الدليل بيان بأن فرعون مخلوق يجري عليه ما جرى على آبائه الأقدمين، وهو العدم، والإله يتصف بالبقاء، فانتقى ما ادعاه الملعون بهذا الدليل.

ولما لم يفلح اللين مع فرعون وملئه، ورمى سيدنا موسى - عليه السلام - بالجنون شدد عليهم سيدنا موسى في القول، وشكك في عقولهم فقال: (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) قال الزمخشري (ت: 538هـ): "فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ أَوَّلًا: (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) وَآخِرًا (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)؟ قُلْتَ: تَكَلَّمَ أَوَّلًا بِاللِّينِ، فَلَمَّا رَأَى مِنْهُمْ شِدَّةَ الشَّكِيمَةِ فِي الْإِصْرَارِ عَلَى كَلَامِهِمَا، وَقَلَّةَ الْإِصْغَاءِ إِلَى عَرْضِ الْحُجَجِ، خَاشَنَ وَعَارَضَ فَقَالَ لَمَلْئِهِ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾"،²¹³ فأكد فرعون كلامه بأن سيدنا موسى - عليه السلام - مجنون، وليس كذلك لأن حالة سيدنا موسى - عليه السلام - لا تؤذن بجنون فكان وصفه بالجنون معرضاً للشك؛ فلذلك أكد فرعون أنه مجنون، يعني أنه علم من حال موسى ما عسى أن يعلمه السامعون، وقصد بإطلاق وصف الرسول على موسى التهكم به، بقرينة رمية بالجنون المحقق عنده.

وأضاف الرسول إلى المخاطبين (رسولكم)، رِئاً بنفسه عن أن يكون مقصوداً بالخطاب، وأكد التهكم والربء؛ لزيادة تهيج السامعين على سيدنا موسى حتى لا يتأثروا أو يتأثر بعضهم بصدق كلام سيدنا موسى.²¹⁴

وبعد أن بين سيدنا موسى - عليه السلام - بالدليل العقلي أن الله هو المستحق للعبادة لا غيره، لم يبق أمام فرعون سوى أن يهدد سيدنا موسى حتى يرجع عما يدعوا إليه، وليكون عبرة لغيره ممن حوله من المأ فقال مهّدا ومتوعدا موسى - عليه السلام -: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا

212 الزمخشري، الكشاف، 308/3.

213 الزمخشري، الكشاف، 308/3.

214 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 120/19.

غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ»²¹⁵ أي لأجعلك من المحبوسين، وهذه الجملة كان من الممكن أن توجز في كلمة واحدة في غير القرآن وهي (لأسجنك)، فلم أطنب فرعون في تهديده؟ لأنه "لو قال: لأسجنك لا يفيد إلا صيرورته مسجوناً"²¹⁶ وقد يكون السجن راحة لبعض البشر، ولكن فرعون أراد تهديده وأن يُذكَر سيدنا موسى - عليه السلام - بطبيعة سجنه، وحال من سجنه، وبشاعة هذا السجن، فكأن معناه "لأجعلك واحداً ممن عرفت حالهم في سجونى، وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض، بعيدة العمق فرداً، لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشد من القتل".²¹⁷

ولما أعلن فرعون تهديده على الملأ، وأصر على كبره وعناده بأنه سيسجن سيدنا موسى إن لم يؤمن به إلهاً، رد عليه سيدنا موسى بهذا قائلاً: ﴿أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾²¹⁸ ومعنى هذا القول: أتسجنني لو جئتكم بمعجزة تدل على صدق كلامي؟! خاطب فرعون على حسب اعتقاده، فالملعون يستبعد أن يستطيع سيدنا موسى - عليه السلام - الإتيان بالشيء المبين، لذلك جاء -عقب هذه الآية- بقوله: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ شكه واستبعاده لوقوع المعجزة من سيدنا موسى - عليه السلام -.²¹⁹

قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾²²⁰ في هذه السورة جاء القول منسوباً إلى فرعون، وفي سورة الأعراف جاء القول منسوباً إلى الملأ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾²²¹ وليس ذلك تناقضاً، إنما ردد الملأ ما قال فرعون العبارة

215 الشعراء: 26 / 29.

216 الرازي، التفسير الكبير، 24 / 131.

217 الزمخشري، الكشاف، 3 / 356، 357.

218 الشعراء: 26 / 30.

219 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 5 / 200.

220 الشعراء: 26 / 34.

221 الأعراف: 7 / 109.

نفسها؛ لبيان موافقة رأيهم لرأيه، وأن رأيه هو الصواب كعادة الناس في نقل كلام ملوكهم ورؤسائهم وترديده حتى ولو كان هذا الكلام باطلاً أو خطأ، إظهاراً للموافقة عليه وتعميماً لتبليغه .²²²

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾، بعد أن بان لكل ذي لب من الواقفين أن ما جاء به سيدنا موسى - عليه السلام - معجزة، وليس من جنس سحر السحرة، أراد فرعون أن يصرف الملاً من حوله عن تلك المعجزة التي بهرت عقولهم؛ وليبين أنه متمكن في عمل السحر جاء بهذا الوصف (عليم)، وفي هذا تمويه وتشويش على الحقائق، وقلبها إلى أضدادها، ولكن إن أفلح في ذلك أمام الملاً - فلا عجب في ذلك فليس لهم دراية بفنون السحر، ولا الفرق بينه وبين المعجزة - فلن يفلح أمام السحرة الذين درسوا السحر وتعلموه وكانوا متمكنين منه.

وإذ نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ أَرْضِكُمْ﴾، نجد أن فرعون يستخدم مع من حوله أسلوب الضغط على الوتر الحساس والعاطفة الجياشة، فحب الوطن، والبقعة التي نشأ فيها الإنسان، يتغلغل في قلوب أصحاب الأفتدة المرفهة، وهو بهذه العبارة يحملهم على كراهية سيدنا موسى - عليه السلام - الذي جاء كما قال فرعون ليخرجهم من أرضهم التي نشأوا فيها وترعرعوا بين أحضانها، لكي يملكها هو وبنو إسرائيل، فيصبحوا عبيداً بعد أن كانوا سادة، فإذا استطاع سيدنا موسى أن يصل إلى قلوبهم تذكر ما قال فرعون بشأن الإخراج فينكصون على أعقابهم.

ثم أراد أن ينفروهم من سيدنا موسى، فذكر أن وسيلته في هذا الإخراج هو السحر، وأسنده إلى ضمير سيدنا موسى؛ ليصرفهم عنه، وصرح فرعون بوسيلة الإخراج، في حين أن الملاً لم يصرحوا بتلك الوسيلة في قوله تعالى ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

222 رشيد رضا، المنار، 60/9.

عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ»؛²²³ لأن المَلَأَ كانوا أَقَلَّ من فرعون خوفاً وانزعاجاً، ودونه حرصاً على الطعن في دعوة موسى.²²⁴

قال تعالى: ﴿يَا تُوءُكُ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ﴾ توضح هذه الآية بأن الرعب والهلع استشرى في قلب فرعون حتى نسي أنه كان يقول لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾،²²⁵ وأنه كان قال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾،²²⁶ نسي هذا الكبير وذاك الطغيان، وبدأ يستشيرهم وينزل إلى أمرهم قائلاً لهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾،²²⁷ فأشاروا عليه أن يبعث شرطاً يجمعون السحرة من بلاد مصر، ونرى أن المَلَأَ قد استخدموا كلمة تدل على الشمول والإحاطة وهي (كل) وفي هذه الكلمة دلالة على قوة هؤلاء الشرط، وعلى تحكمهم في البلاد فهم يستطيعون أن يجمعوا (كل) وليس معظم السحرة، وحتى يزدوا من تهدة ملكهم اتبعوا لفظ الإحاطة والشمول بصيغة المبالغة (سَحَارٍ) أي ماهر في علم السحر، ولم يكتفوا بتلك المسكنات لفرعون بل جاءوا بهذا الوصف (عليم) حتى يذهبوا الرعب والقلق الذي باض وفرخ في قلب فرعون، وإلى هذا أشار العلامة الزمخشري (ت: 538هـ) قائلاً: "عارضوا قوله إن هذا لساحر عليم (بقولهم) بكل سحار عليم فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطمأنوا من نفسه، ويسكنوا بعض قلقه".²²⁸

قال تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾،²²⁹ عبر المَلَأَ من قوم فرعون بطريق الكناية عن عدم اتباع موسى -عليه السلام- باتباع السحرة في دينهم، وهو دين

223 الأعراف: 7 / 109.

224 رشيد رضا، المنار، 60/9.

225 القصص: 28 / 38.

226 النازعات: 24 / 79.

227 الشعراء: 26 / 35.

228 الزمخشري، الكشاف، 359/3.

229 الشعراء: 26 / 41.

فرعون، أنه لا يشك في قوة السحرة؛ لأن الشرط حينما جمعوا السحرة لم يجمعوا إلا كل سحار عليم، إنما استخدم أداة الشك (إن) بدلاً من (إذا) التي تدل على تحقق الوقوع لحمل السحرة على إخراج كل ما تعلموه من فنون السحر للانتصار على من يعتقدون أنه سيخرجهم من أرضهم، أو سيسلب الملك من تحت أقدامه، ولم يكن لهم شك في أن السحرة غالبون، وهذا شأن المغرورين بهوهم، العمى عن تقلبات الأحوال أنهم لا يفرضون من الاحتمالات إلا ما يوافق هواهم،²³⁰ "إنه عبر بأداة الشك؛ إظهاراً للإنصاف، واستجلاباً للناس مع تقديرهم لقطعهم بظفر السحرة، لما رسخ في أذهانهم المتطاولة من الضلال، الذي لا غفلة لإبليس عن تزيينه مع أن تغيير المؤلف أمر في غاية العسر".²³¹

قال تعالى: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ سحرة فرعون مستخدمين أداة الشرط (إن) وهم بالطبع لا يشكون في أنهم غالبون كيف وهم يطلبون الأجر والمزيد؟! دأب الناس في نقل كلام ملوكهم ورؤسائهم وترديده إظهاراً للموافقة عليه وتعميماً لتبليغه.²³²

إيمان سحرة فرعون

قال تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾،²³³ قوله تعالى: (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) عطف بيان لـ (رَبِّ الْعَالَمِينَ)، جاء السحرة بهذا البيان بعد أن انبثق النور من بين الظلام في قلوبهم، وبعد أن كانوا سحرة كفرّة أصبحوا مؤمنين بررة، فجاءوا بهذا البيان لدفع الإيهام الذي قد يظن من قولهم (رَبِّ الْعَالَمِينَ) أن المقصود منه هو فرعون اللعين؛ لأن المخاطبين يعتقدون أنه رب العالمين فجاء السحرة المؤمنون بهذا البيان؛ لبيان أنهم يقصدون رباً غير فرعون وهو رب موسى وهارون اللذين أظهر الله على أيديهما المعجزات التي كانت سبباً في إيمانهم قال الزمخشري (ت: 538هـ): "رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين؛

230 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 126/19.

231 البقاعي، نظم الدرر، 358/5.

232 رشيد رضا، المنار، 60/9.

233 الشعراء: 26/47 - 48.

لأن فرعون - لعنه الله - كان يدعي الربوبية، فأرادوا أن يعزلوه، ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه هذان، والذي أجرى على أيديهما ما أجرى".²³⁴

قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ...﴾²³⁵ وفي سورة الأعراف قال تعالى على لسان فرعون: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ...﴾²³⁶ هذا والمعنى في الآيتين واحد فالإيمان بموسى هو إيمان بربه الذي يدعو الناس إليه، وكذلك الإيمان لموسى أي الخضوع والاتباع لما يأمر به، وهو لا يأمر إلا بالإيمان بربه - عز وجل -، فقال صاحب المنار: "الضمير في قوله تعالى: (آمَنْتُمْ لَهُ) لموسى قطعاً؛ لأن تعدية الإيمان باللام تضمين يفيد معنى الاتباع والخضوع والاستسلام، والمعنى آمَنْتُمْ لَهُ إذعائاً لرسالته قبل أن آذَنَ لَكُمْ"،²³⁷ الباء بما تدل عليه من الملابس والمصاحبة والإلصاق، فإن الإيمان لا يتعدى بالباء إلا في الإيمان بالله ورسله وكتبه، لما أن الإيمان بالرسول هو امتداد للإيمان بالله، وكذلك الإيمان بالكتب؛ لأن الكتب كلام الله، أما (اللام) بمعنى الاستجابة للمصدق فيما دعا إليه، والانحياز له في رأيه أو ما جاء به، وهو ما لا يكون إلا مع بشر لمثله. ولا يقال آمن لله وآمن لكتبه، كما يقال: آمن بالله وكتبه. أن هناك ثلاثة مواضع من مشتبه النظم الحكيم، وهي: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾²³⁸ وقوله تعالى: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾²³⁹ وقوله تعالى: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾²⁴⁰ أن الضمير في الآية الأولى عائد إلى ﴿رب العالمين﴾ وفي الآيتين الآخرين، عائد إلى موسى، بدليل أن تقرير فرعون للسحرة،

234 الزمخشري، الكشاف 360/3.

235 الشعراء: 49 / 26.

236 الأعراف: 123 / 7.

237 رشيد رضا، المنار، 70/9.

238 الأعراف: 123 / 7.

239 طه: 71 / 20.

240 الشعراء: 49 / 26.

وإنكاره منصب في الموضعين الأخيرين على اتباعهم لموسى ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكَمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ بخلاف الأول؛ فقد جاء بعده ما يدل على أن إيمانهم برب العالمين هو وسيلتهم للاستيلاء على المدينة وأهلها؛ فكان أخرى بإنكار هذا الإيمان بربهم.²⁴¹ وبعد ذلك، أنكار فرعون إيمان السحرة بقييده بالظرف ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾.

هل المراد إنه لم ينكر عليهم الإيمان برب موسى وهارون. وإنما أنكر عليهم خروجهم عن طاعته، ففعلوا ما فعلوا بدون إذنه وأنهم لو فعلوا ذلك بإذنه ما كان هناك إنكار ووعيد؟ الحقيقة إن فرعون ينكر إيمانهم في كل الأوقات سواء قبل إذنه أم بعد إذنه، ولكن التقييد بالظرف أفاد أن فرعون لا يعنيه في هذا الجمع الحاشد إلا المحافظة على سلطانه وجبروته واستعباده، شأنه في ذلك شأن كل حاكم مثله مستبد؛ ولذلك لم يسألهم عن سبب الإيمان، وكيف تحولوا من عباد له، إلى أعداء مبطلين لألوهيته وجبروته.

قال تعالى على لسان فرعون: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾،²⁴² أراد فرعون أن يثني السحرة عن إيمانهم، ولكن هيهات، فأرغى وأزبد، وهدد وتوعد، وقال لهم: سوف ترون جزاء ما صنعتُم، فسوف أقطع الأيدي والأرجل، ولن أكتفي بذلك بل سأصلب الجثامين زيادة في التكيل والتعذيب، وقال (أجمعين) ليفيد أن العذاب إن وقع فسوف يشمل كل من آمن مع موسى - عليه السلام - في وقت واحد، وفي هذا من التهريب والتهديد ما فيه، وهو يبالغ في تهديده ظناً منه أنه بذلك سيخيفهم فيعودون إلى عبادته، فجاء القيد أجمعين إعلاء للتهريب، وزيادة في التخويف؛ وإظهاراً للقدرة والجبروت؛ لأن الفعل الشنيع حينما يتوعد به للجميع في وقت واحد، يكون ذلك أدخل للرب في القلوب وأدعى لهم إلى النكوص والرجوع، كما أنه يفيد - أيضاً - دفع توهم عدم شمول عذاباته لكل

241 الخصري، محمد الأمين، من أسرار حروف الجر، مكتبة الأمانة، القاهرة، 1409هـ، 1989م، بدون الطبعة، ص 213.

242 الشعراء: 49/26.

في زمان واحد، وما يظن من استغراق وقت في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، والتصليب، هذا يعني أنه سيكل بكل ساحر مجموعة من رجاله، فينفذون ما وعد به فرعون السحرة في وقت واحد، وهذا ألصق بمراده من إظهار القوة والبطش والجبروت الداعي إلى تراجعهم عما صاروا إليه من الهداية؛ لذا ذكر البقاعي أن قوله: (أجمعين) زيادة في التهويل،²⁴³ "وقد وقع القيد في ذروة التهديد والترهيب".²⁴⁴

وقال: (له) ولم يقل: (لهما) أي لموسى وهارون؛ لأن الذي تولى مناقشة فرعون وتحديه، وظهرت المعجزات على يديه هو سيدنا موسى -عليه السلام- إذ هو الأصل وسيدنا هارون أرسل معه رداءً يصدق، وهذا هو ما أبصره البقاعي (ت: 885هـ) بقوله: "(أمنت له) أي لموسى -عليه السلام- أفرد بالضمير لأنه الأصل في هذه الرسالة".²⁴⁵

ومما ظهر فيه شدة طغيان وكبر فرعون اللعين قوله للملأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾،²⁴⁶ فنلاحظ أن فرعون اللعين سلط النفي على العلم بالإله دون وجوده حتى لا يطالب من الملأ بإقامة الحجة والبرهان على كلامه، فلو قال: ما من إله غيري لطولب بالدليل على نفي ألوهية غيره، ومما يدل على ذلك أنه أمر وزيره هامان ببناء صرح ليستيقن من كلام سيدنا موسى -عليه السلام- فهو لا ينفي وجود إله غيره، وإنما ينفي علمه بذلك الإله، واستخدم اللعين هذا الأسلوب تظاهراً بالنصفة أمام الملأ، وإلى هذا المعنى أشار البيضاوي (ت: 685هـ) في تفسيره قائلاً: "﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، نفي علمه بإله غيره دون وجوده إذا لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه، ولذلك أمر ببناء الصرح؛ ليصعد

243 البقاعي، نظم الدرر، 5/ 361.

244 الهدد، إبراهيم صلاح، التوكيد المعنوي في الذكر الحكيم أسرار ومقاماته، ط: الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1435هـ، 2014م. ص 80، 81.

245 البقاعي، نظم الدرر، 5/ 360.

246 القصص: 38/ 28.

عليه ويطلع على الحال بقوله: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ كأنه توهم أنه لو كان لكان جسماً في السماء يمكن الصعود إليه.²⁴⁷

هذا، وللطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ) رأى مخالف لرأي البيضاوي، فهو يرى أن نفي علمه كناية عن نفي وجوده، فقال: "والمراد بنفي علمه بألوهيته خالقه، نفي وجود إله غيره بطريق الكناية، ويرى ملأه أنه أحاط علمه بكل شيء حق، فلو كان ثمة إله غيره لعلمه، والمقصود بنفي إله غيره نفي وجود الإله الذي أثبتته موسى"،²⁴⁸ ورأي العلامة البيضاوي (ت: 685هـ) هو الأولى بالقبول، والأوفق مع سياق الآيات، إذ كيف ينفي الملعون وجود إله سيدنا موسى، ثم بعد ذلك يأمر وزيره ببناء صرح ليطلع على إله نفي وجوده من ذي قبل.

وصف فرعون أتباع سيدنا موسى - عليه السلام - بالشرذمة، هذا يدل على تكبر فرعون وشدة طغيانه، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾،²⁴⁹ والشرذمة: الطائفة القليلة من الناس، وهذه اللفظة تبين أن عدد بني إسرائيل كان أقل بكثير من عدد الأقباط أتباع فرعون، وأراد اللعين أن يزيد من تحقيره من شأن بني إسرائيل فوصفهم بأنهم (قليلون)، وكان من الممكن أن يكتب في بذكر الشرذمة لبيان قلتهم، وإنما أراد أن يؤكد على تحقيره من شأنهم أكثر أمام جنوده فوصفهم بهذا الوصف، ليبين أنهم جماعات متفرقة،

247 البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ، 1998م، 4/ 178.

248 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 122/20.

249 الشعراء: 54/ 26.

كل جماعة منهم قليلة،²⁵⁰ وهذا هو ما دلنا عليه العلامة الآلوسي (ت:1342هـ) حيث قال: "قليلون) صفة شرذمة، وكان الظاهر قليلة، إلا أنه جمع باعتبار أن الشرذمة مشتملة على أسباط، كل سبط منهم قليل، وقد بالغ فرعون في قتلهم حيث ذكرهم أولاً باسم دل على القلة وهو قوله: شرذمة، ثم تلى ذلك بوصفهم بالقلة، ثم جمع كلمة قليل فقال (قليلون)؛ لبيان قلة كل حزب منهم، وأتى بجمع المذكر السالم، وقد ذكر أنه دال على القلة واستقلهم بالنسبة لجنوده"،²⁵¹

هلاك فرعون وقومه

وبين النظم الكريم العلة في ادعاء فرعون الربوبية، ومجادلة موسى عليه السلام- وقتل أبناء بني إسرائيل، واستحياء نسائهم، هذه العلة تتمثل في الكبر والطغيان فقال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾،²⁵² "والاستكبار أشد من الكبر، أي تكبر تكبراً شديداً، إذ طمع في الوصول إلى الرب العظيم وصول الغالب أو القرين"،²⁵³ وقيد الاستكبار بقيدين هما (في الأرض) و(بغير الحق) ولكن لم قيد الاستكبار بهذين القيدين مع أن المعروف أن الاستكبار لا يكون إلا في الأرض، ولا يكون إلا بغير الحق؟

قيد الاستكبار بالقيد الأول (في الأرض)؛ لتذكير فرعون وغيره من المتكبرين بأصلهم وحقيقتهم، فهم خلقوا من التراب الذي هو جزء من الأرض وسيعودون إليه مرة أخرى، ولا ينبغي لمن كان أصله ومنتهاه هكذا أن يتكبر وأبصر العلامة الآلوسي (ت:1342هـ) سر هذا التقييد فقال: "(في الأرض)، الأكثرون على أن المراد بها في أرض مصر، وقيل المراد بها

250 درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه ، ط: الرابعة، دار الإرشاد ، حمص، سورية، 1415هـ، 1995م، 78/6.

251 الآلوسي، روح المعاني، 81/19.

252 القصص: 39/28.

253 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 124/20.

الجرم المعروف المقابل للسماء، وفي التقيد بها تشنيع عليهم حيث استكبروا فيما هو أسفل الأجرام وكان اللاتق بهم أن ينظروا في محلهم وتسفلهم فلا يستكبرون".²⁵⁴

أما القيد الثاني (بغير الحق) فقد جاء لبيان قبح ودناءة فرعون وجنوده فقد استكبروا، وهذا الاستكبار ليس له أسباب مسوغة له؛ لأنه بغير الحق فجاء هذا القيد زيادة في تشنيعهم، وتأكيداً على قبحهم.

والعلة في تعريف (الأرض) و(الحق) ذكرها البقاعي (ت: 885هـ) فقال: "(في الأرض) أي أرض مصر، ولعله عرفها إشارة إلى أنه لو قدر على ذلك في غيرها فعل (بغير الحق) استكباراً مصحوباً بغير هذه الحقيقة، والتعبير بالتعريف يدل على أن التعظيم بنوع من الحق ليس كبيراً، وإن كانت صورته كذلك".²⁵⁵

انطلق موسى بقومه ليخرجوا من مصر، ولحقهم فرعون وجنوده ليوقفوهم ويقتلوهم، وعندما وصل موسى وقومه إلى ضفاف البحر، خاف قومه وقالوا هلكنا، لأن فرعون من ورائهم يريد القضاء عليهم والبحر من أمامهم يقفل طريقهم، فقال سيدنا موسى - عليه السلام - بكل إيمان: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾،²⁵⁶ تنوياً بشأنها، وجذباً لانتباه بني إسرائيل إلى أنه لن ينجهم مما هم فيه إلا اتباعهم له، ولم يقل سيدنا موسى - عليه السلام -: (معنا)؛ لأنه قائدهم، وبنجاته ينجون معه، وتقرباً إلى الله بمكانته الخاصة دونهم، هذا وقد عقد العلامة الألوسي (ت: 1342هـ) مقارنة بين هذه الآية وقوله تعالى على لسان نبيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾،²⁵⁷ أذكرها لعظم الفائدة فيها، قيل: "قدم المعية هنا وأخرت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾؛²⁵⁸ لأن المخاطبين في سورة الشعراء هم بنو إسرائيل وهم أغبياء يعرفون الله - عز

254 الألوسي، روح المعاني، 82/20

255 البقاعي، نظم الدرر، 490/5.

256 الشعراء: 62/26.

257 التوبة: 40/9.

258 التوبة: 40/9.

وجل- بعد النظر والسماع من موسى - عليه السلام- ، والمخاطب في سورة التوبة هو الصديق -رضي الله عنه- وهو ممن يرى الله -تعالى- قبل كل شيء، ونظرا لاختلاف المقام بين الواقعتين نظم نبينا - عليه السلام- صاحبه معه في المعية، ولم يقدم له ردعاً وزجراً، وخاطبه على نحو مخاطبة الله -تعالى- لنبيه - عليه السلام- عند تسليته بما صورته النهي عن الحزن، وأتى بالاسم الجامع وهو لفظ الألوهية دون اسم مشعر بصفة واحدة مثلاً كالرحمن أو الرحيم أو غيرهما، ولم يكن كلام سيدنا موسى -عليه السلام- ومخاطبته بني إسرائيل على هذا الطراز، فسبحان من فضل بعض العالمين على بعض".²⁵⁹

أوحى الله لموسى أن يضرب البحر بعصاه، فلما فعل موسى ما أوحى إليه الله تعالى فإذا بالبحر ينفلق ويصبح كلَّ فَرْقٍ كالجبل العظيم، قال تعالى: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾²⁶⁰ وانطلق بقومه إلى الضِّفَّةِ الأخرى حتى وصلوها، ونجى موسى وَمَنْ معه، وفي ذلك الحين كان فرعون مع جنوده ما زالوا يمرُّون من بين الجبلين المائيَّين، وإذا بهذين الجبلين يطبقان على فرعون وجنوده ويغرقوا جميعاً.

قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾²⁶¹ " قيل هنا: (وَمَنْ مَعَهُ)؛ للإشارة إلى أن نجاة أتباعه ومن آمن معه كان ببركة مصاحبتهم سيدنا موسى -عليه السلام- ومتابعتهم له، وقيل: لينتظم من آمن به من القبط، إذ لو قيل: وقومه لتبادر منه بنو إسرائيل"،²⁶² وختمت الآية الكريمة بهذا التأكيد (أجمعين)؛ لبيان أن النجاة تمت لهم كلهم، فلم يهلك واحد منهم، حتى لا يتبادر إلى الذهن أن البحر بعد أن انفلق، وصار بهذه الصورة المروعة، قد يهلك بعض من اتبع موسى عليه السلام عند عودة البحر على فرعون وجنوده، فجاء بهذا القيد؛ ليؤكد سلامة كل من اتبع سيدنا موسى - عليه السلام-

259 الألوسي، روح المعاني، 89/20.

260 الشعراء: 63/26.

261 الشعراء: 62/26.

262 الألوسي، روح المعاني، 89/20.

وبعد عرض قصة النمرود وفرعون اللذين تكبرا بسلطانهما، وطغيا بحكمهما، فلنعلم أن نمرود إبراهيم وفرعون موسى موجودان في كل وقت وزمان، وأن لهم أشباه وأمثال من أمثال، فإذا كان النمرود وفرعون سعيًا بكل قواهم لكي يصدوا الناس عن اتباع أمثال دينك الرسولين الكريمين على الله، وعن الدعوة إلى الله، ويجعلوهم طائعين لهم دون غيرهم فيما يبدو لهم ويحلون في ذوقهم ولو كان قبيحا ومرا في واقع الناس أجمعين، فلم يفلحوا فكما لم يوفق الله الظالمين لنجاح مسعاهم وخيبهم في ذلك الزمان السحيق، فكذلك سيؤول أمر جباري هذا العصر - وفي كل عصر - إلى ما هو أتعس وأخيب من أولئك الغابرين الهالكين، فهما كثر النماردة، وطغى الفراعنة، فالله لهم بالمرصاد، فإذا أكثروا في الأرض الفساد، فسيصَّبُ الله عليهم سوط عذاب.

إن الله لم يجعل هذين الظالمين النمرود وفرعون أن يصلوا إلى ما أراداه، فثار الضعفاء في وجهيهما، ورفضوا دعوتهما الباطلة وردوها عليهما، وذلك إتباعا لهذين الرسولين فضربا المثل الصادق لكل إنسان حر يريد أن يتحرر من سيطرة الطغاة والبلغاة والظالمين، فإن النمرود وقومه لما عجزوا عن معارضة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بالحجة التي يقبلها العقل السليم لجأوا إلى القوة المفرطة ﴿مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾²⁶³، والقوة هي سلاح العاجز للتغلب على الخصم الذي غلبهم بقوة الحجة، التي يقبلها العقل ويرضاها حكما في النزاع، فأجمعوا أمرهم على إحراقه بالنار لكي يتخلصوا من دعوته التي أفسدت عليهم شركهم، وأبطلت عليهم باطلهم غير أن الله الذي خلق إبراهيم -عليه السلام- وهده إلى الحق وطريق الرشاد في صغره وأرسله رسولا في كبره إلى عبادته؛ ليظهر قلوبهم من عقيدة الشرك والخرافات والبعي - كان في عونه على تبليغ دعوته ونصره على خصومه المشركين بمن فيهم ملكهم وغيره فأحبط مسعاهم وأفسد عملهم وأضل كيدهم فباؤوا بالخيبة والخسران ونجا رسوله وخليفه إبراهيم عليه السلام وخلد قصته في القرآن فبقيت تتلى على

263 العنكبوت: 24/29.

مدى الأزمان لتكون موعظة وعبرة للمغرورين أمثالهم ذلك كما قال تعالى في الآية السابقة الذكر من عزم القوم وملكهم على إحراقه بالنار للتخلص منه ومن دعوته كي يصفو لهم الميدان ويبقى لهم وحده حتى يعلو باطلهم على حق الله ودعوة رسوله كما تقدم في تصوير القرآن لحالهم في قول الله عز وجل، جل شأنه وعظم سلطانه وغلبت قدرته كل مخلوق ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾.²⁶⁴

هكذا يلجأ الظالمون دوماً إلى القوة والقهر وإخماد شعلة الحق وإطفاء نور الله لينصروا باطلهم على حق الله في زعمهم ولكن محال ما حاولوه فقد رد الله كيدهم إلى نحورهم وأفسد تدبيرهم حين أججوا له نارا عظيمة، جمعوا لها حطباً جزلاً، وأكثروا.²⁶⁵

264 الأنبياء: 68/21.

265 القنطري، عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني الجزائري، في سبيل العقيدة الإسلامية، ط: الأولى، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1402هـ، 1982م، 1/ 60.

4. حديث القرآن عن طاغية قارون المتكبر بماله

1.4. نسب قارون وقصته في القرآن الكريم

1.1.4. نسب قارون

قبل البدء في الكلام عن الآيات التي ذكرت تكبر قارون بماله، نتعرف أولاً على قارون ونسبه: هو قارون بن يسهب بن قاهث، إنه كان ابن عم موسى، وموسى بن عمران بن قاهث، وقارون رجل من بني إسرائيل آمن مع موسى -عليه السلام - حتى يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، وأعطاه الله -تبارك وتعالى - مالا كثيرا وكنوز وفيرة؛ لكي يشكر ربه، ولكن حاله حال مرضى القلوب، نافق كما نافق السامري، فقد حول المنحة التي وهبه الله إياها إلى محنة وبلاء، وغيّر النعمة الكبرى إلى نقمة وطغى بغناه، وبغى واستكبر، وتعالى واستعلى، فعوقب بعقاب يتناسب مع كبره وطغيانه، ألا وهو الخسف.²⁶⁶

أورد المولى -تبارك وتعالى - في كتابه الكريم قصص الطغاة والمتكبرين، وأورد ما عوقبوا به؛ لنتخذ منها العبرة والعظة، وننظر إلى الأسباب الموجبة لعقابهم فنبتعد عنها وفي السطور التالية أحاول أن أقف عند بعض القيود في قصة قارون - عليه اللعنة، تلك القيود التي خدمت القصة فأبرزتها في معرض شيق.

266 الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت:310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: الأولى، دار هجر، 1422هـ، 2001م ، 19 / 616. ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، ط: الثالثة، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية ، 1419 هـ ، 1998م، 9/3005.

2.1.4. حديث القرآن عن قارون وتكبره بماله

وردت قصة قارون مفصلة في سورة القصص ، سورة القصص " مكية بالاتفاق، وعدد آياتها ثمان وثمانون، وكلماتها ألف وأربعمائة وواحدة، وحروفها خمسة آلاف وثمانمائة"،²⁶⁷ نزلت بعد سورة النمل .

3.1.4. التحليل التفسيري للآيات

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾،²⁶⁸ (مِنْ قَوْمِ مُوسَى) نلاحظ هنا أن النظم الكريم عبر عن قارون، بقوله تعالى: (مِنْ قَوْمِ مُوسَى) وهذه العبارة تحمل دلالات وإشارات تظهر لكل صاحب عقل لأول وهلة، فقد افتتحت قصة قارون بهذه الجملة فبدلاً من أن يقول: (إن قارون طغى وبغى على بني إسرائيل) قال: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) وذلك زيادة في تقبيح وتبشيع قارون في نظر المخاطبين، فهو الرجل المتكبر بماله المستعلي بزِينته وحاشيته وذهبه وفضته، ولكن يا ترى على من يتكبر ويستعلي، إن قارون يستكبر على أهله وأقاربه وأصحابه الذين هو واحد منهم وإليهم ينتمي، وبدلاً من أن يجعلهم يشاركونه التمتع في أمواله أو أن يعطيهم ويمنحهم مما أنعم الله به عليه، فتعالى عليهم مع أنهم أهله وأقاربه وخاصته، وإذا كان تكبره على أهله وخاصته قد وقع فهو واقع على غيرهم من باب أولى، كما أن هذه العبارة تبين أن قارون كان بينه وبين سيدنا موسى - عليه السلام - قرابة خاصة، ولكنه لم يعمل حساباً لتلك القرابة التي تربطه بنبي كريم كسيدنا موسى - عليه السلام -،²⁶⁹ ولكن هذه القرابة لم تمنعه عن التكبر عليهم ولم تردعه عن الاستعلاء بماله وحشمه على أهله، من أجل هذا

267 الفيروز أبادي، بصائر نوي التمييز، ص 353 .

268 القصص: 28 / 76.

269 الزمخشري، الكشاف، 465/3.

"عدل النظم الكريم عن أن يقال: كان من بني إسرائيل لما في إضافة قوم إلى سيدنا موسى - عليه السلام - من الإشارة إلى أن لقارون - عليه من الله ما يستحقه - اتصالاً خاصاً بسيدنا موسى - عليه السلام - فهو اتصال قرابة".²⁷⁰

كما أن في الآية تعريضا بأهل مكة -أيضاً- وبيانا لهم بأن الدين ليس فيه شفاعة لكافر أو متعالٍ حتى وإن كان قريباً للنبي أو ولي، إنما إذا وقع العذاب فإنه يقع على من يستحق العذاب، بغض النظر عن قرابته للنبي أو الرسول، فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم - أهله أن يعملوا الصالحات ولا ينظروا لقرابتهم له فهذا لن يغني عنهم شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم: (يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً)،²⁷¹ فقارون مع أنه كان بينه وبين سيدنا موسى - عليه السلام - صلة قرابة، وكان من حاله كذا وكذا، فإن ذلك لم يغنه من عقاب الله في الدنيا والآخرة؛ لأنه يستحق هذا العذاب، فحسف الله به وبداره الأرض ولم يشفع له قرابته من سيدنا موسى أو استغاثته عند نزول العذاب عليه، ففي هذا تحذير وإنذار لأهل مكة عامة وأقرباء النبي - صلى الله عليه وسلم - من كفار مكة خاصة كأبي لهب وغيره ما فيه، ولا يخفى بأن هذا الخبر جاء مفتتحاً بالفعل الماضي (كان) التي جاءت على الأصل في الدلالة على حدوث الفعل في الزمن الماضي؛ للإشارة إلى أن انتسابه إلى قوم سيدنا موسى - عليه السلام - كان من قبل بغيه وتكبره وكفره، وبعد البغي والطغيان والكفر انقطعت هذه القرابة وذهب ذلك النسب؛ فصلة الدين هي الأساس والأقوى، ولا يقطعها شيء البتة.

270 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 196/20.

271 مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (261هـ)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجليل، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، باب فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم حديث: 522، 1/ 133.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾²⁷² في هذه الآية إشارة إلى كثرة ما أعطاه الله لقارون من الأموال، وأن تلك الأموال على كثرتها لم يأت بها قارون عن عمله واجتهاده كما ادعى وزعم، إنما هي عطاء وابتلاء وامتحان من الله يبتلي به من شاء من عباده، ويشير قوله تعالى: (مِنَ الْكُنُوزِ) إلى أن خزائن الله مملوءة لا تنفد ولا تنتهي مهما أخذ منها الآخذون، فلا ينقصه شيء إلا بقدر ما ينقص المخيط إذا وضع في البحر، فأموال قارون الكثيرة التي عرفنا كثرتها من كثرة وعظم المفاتيح، وعدم قدرة الجماعة القوية على حملها، ومع كل ذلك فهي بجوار خزائن الله قليل من كثير، وغيبض من فيض، ونقطة من بحر عظيم إذا انضم إليها كل أموال الخلائق من وقت آدم - عليه السلام - حتى قيام القيامة، وعرفنا ذلك من دخول حرف الجر (من) على كلمة الكنوز.

ومعنى كلمة العصابة في الآية: "العصابة والجماعة واعصوبوا بمعنى اجتمعوا"،²⁷³ "ومن أهل اللغة من حدد لها مقداراً معيناً، ولكنهم اختلفوا فيه، ف قيل: العصابة من عشرة إلى خمسة عشر، وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: من عشرة إلى أربعين، وقيل: سبعون، وقيل غير ذلك"،²⁷⁴ وأياً ما كان العدد فهو يدل على كثرة الذين يحملون مفاتيح خزائن قارون، وهذه الكثرة فيها دليل على عظم الخزائن التي يمتلكها قارون، وكثرة تلك الخزائن تدل على كثرة الأموال التي بداخل الخزائن، فهذه العبارة كناية عن كثرة أموال قارون بمراتب متعددة، إذا عرفنا أن ثقل المفاتيح ليس ناتجاً عن كبر حجمها فهي بمقدار الأصبع، وليس ناتجاً عن أنها صنعت من مادة ثقيلة كالحديد أو النحاس أو غيرهما من المعادن الثقيلة، إنما هي مصنوعة من الجلد كما وضح الزمخشري في كشافه (ت: 538هـ)،²⁷⁵ إذا فتقل المفاتيح بسبب كثرتها،

272 القصص: 76/28.

273 البيضاوي، تفسير البيضاوي 85/7.

274 الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار الطباعة الخديوية، بدون طبعة وتاريخ، 86/7.

275 الزمخشري، الكشاف 434/3.

وحتى لا يتوهم متوهم أن سبب عدم استطاعة العصبية أن تحمل المفاتيح واستصعاب ذلك عليهم إنما هو ضعف العصبية وهزالها، من أجل ذلك وصفت العصبية بصفة هي (أولى القوة) فهي جماعة قوية وقادرة على أن تحمل الأثقال، ومع ذلك صعب عليهم حمل مفاتيح الخزائن بسبب كثرتها وكثرة ما فيها من ذهب وأموال.

ويمضي بنا السياق مخبرا عن قارون المتكبر بماله فيقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ...﴾²⁷⁶ حيث قيد القول بالجار والمجرور (له) ولم يذكر الكلام على سبيل الإطلاق بأن قال إذ قال قومه ...؛ لأن في قوله : (له) دليل على أن القوم الذين قالوا له ذلك الكلام إنما قالوه له مشافهة بدون أن يكون بينهم وسائط تبلغ الكلام لقارون، حتى تكون لتلك النصيحة فائدتها المرجوة في قلب قارون، ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾²⁷⁷ وهاتان العبارتان جزء من النصيحة التي أسداها أهل الدين القويم والعقل الراجح إلى قارون، فأمروه بالإحسان في ماله، كما نهوه عن الكبر والطغيان، وحذف متعلق كلمة (أحسن)، فلم يوضح النظم الكريم من هم الذين يحسن إليهم قارون، وفي هذا الحذف دليل على عموم المحسن إليهم، فهذا الإحسان يقع على الإنسان والحيوان والطير وكل ما من شأنه أن يوصل إليه الإحسان، وفي هذا توسيع لنطاق المحسن إليهم، كما أن فيه حملا لقارون على الاستفادة الكاملة بكنوزه الكثيرة بإنفاق جزء منها في وجوه الخير المتعددة والكثيرة، إلى هذا المعنى أشار الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ) بقوله: "وحذف متعلق الإحسان لتعميم ما يحسن إليه، فيشمل نفسه وقومه ودوابه ومخلوقات الله - تعالى - الداخلة في دائرة التمكن من الإحسان إليها".²⁷⁸

276 القصص: 28 / 76.

277 القصص: 28 / 77.

278 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 179/20.

كما أنه أشار إلى أن المراد بالأرض في قوله (ولا تبغ الفساد في الأرض) هو أرضهم التي هم مقيمون فيها، وإذ قد كانت جزءاً من الكرة الأرضية فالإفساد فيها إفساد مطروف في كل الأرض، (أل) في كلمة الأرض هنا للعهد الذهني أي الأرض المعهودة التي وردت في الآية الكريمة هي الأرض التي عاش عليها قارون وترى بين أحضانها؛ إذ ليس من المعقول أن يفسد قارون بضعفه البشري في كل الأرض على اتساعها وعظم حجمها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾²⁷⁹ وذلك القول من هذا العبد المتكبر الطاغية، إنما هو بمثابة من يرد الجميل بالنكران، فقد أخذته الأنفة والتعالي، وغلبه الطيش والسفه من أن يقر و يعترف بنعم الله عليه، فكان في كلامه هذا كالمأخوذ بالسحر، بحيث لا يستقيم له فكر؛ وذلك لأنه كان مصر على كبره وتعاليه وطغيانه، فلا يريد بهم بدلاً ولا يبغي عنهم حولاً، فبعد أن أسدى له الناصحون النصائح، وأخلصوا له في القول، فما كان رده عليهم إلا استعلاء وتكبرا، ومن خلال هذه العبارة يحاول قارون المتكبر أن يستحوذ على فكر المخاطب، ويريد أن يقنع مخاطبيه بأن هذا المال الكثير الذي يمتلكه إنما جاء به بسبب عمله وتعبه وعنائه، وأنه المستحق لهذا المال دون غيره من الناس فقال: (على علم) وحرف الجر (على) يدل على تمكن قارون واستعلائه وتحكمه من المال، فهو يظن أنه متمكن من هذا المال ومتحكم فيه حتى صار المال كالمطية له، وتتكبر كلمة (علم) فيه إشارة على عظمة هذا العلم من وجهة نظر قارون؛ لأنه بمثابة الطاقة التي أمدته بتلك الكنوز التي يتعالى بها على أهله ويفتخر بها أقاربه، وقيل إن هذا العلم هو: "علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل: هو العلم بكنوز يوسف - عليه السلام -"²⁸⁰ ولم يكتف قارون بهذا القول وإنما تمادى في طغيانه ونكبره فوصف كلمة العلم بكلمة (عندي)، أي أن هذا المال لم يوهب لي من عند أحد وإنما اكتسبته بذكائي وعلمي واجتهادي، فهذه الصفة أظهرت تكبره واستعلاءه

279 القصص: 78/28.

280 البيضاوي، أنوار التنزيل، 87/7.

على قومه، وهذا هو حال كل متكبر مغرور، لا يعرف لأحد فضيلة عليه، ويظن أنه أفضل من كل شيء حوله، وإن كان هو في الحقيقة لا يساوي أي شيء.

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ²⁸¹ خرج قارون على قومه في مركب عظيم، وعليه من الذهب والزينة ما يغري به الأنظار، ويجذب به النفوس الضعيفة التي تنتظر إلى زخارف الدنيا ونعيمها، حتى حسده الناظرون إليه، ممن يغريهم زخارف الدنيا ومناظرها.

وتصور لنا القصة وقت خروج قارون بدقة حتى كأن القارئ للآية يشاهد المشهد أمامه وكأن قارون يسير في موكبه ويراه رأي العين وقد خرج قارون ومن حوله الغلمان والجواري والحشم والدواب المزينة، وهو يتباهى بها ويفتخر على قومه متعاليا، ويرى أعناق الذين ينظرون إلى زخرف الحياة الدنيا وهي ترتفع لكي تشاهد ما تزين به قارون متمنين أن يكون لهم من المال والكنوز مثل ما أعطي قارون، فعبر القرآن الكريم بحرف الجر (على) التي تدل على الاستعلاء والتمكن لكي تناسب ما عليه قارون من كبر وتعالى وخيلاء "والاستعلاء في الآية يمكن أن يحمل على الاستكبار المعنوي ويكون المقصود من هذا الاستعلاء شدة تمكن وتحكم قارون من الزينة أي خرج على قومه في صورة المستكبر المتحكم وهذا هو الظاهر الأقرب لسياق القصة، ويمكن أن يحمل على الاستكبار الحقيقي لجواز أن يكون قد خرج والناس تحمله على أعناقهم كعادة الطغاة والمتكبرين".²⁸²

وقوله تعالى: (في زينته) يبين الهيئة التي ظهر عليها قارون أمام قومه، فقد خرج على قومه والزينة تشمله من أعلى رأسه إلى تحت قدميه، من أجل ذلك نجد أن النظم الكريم

281 القصص: 79 / 80.

282 عبد الوهاب، صالح أحمد، أساليب التمني في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، القاهرة، ص90.

عبر عن تلك الهيئة بحرف الجر (في) لكي يفيد هذا المعنى، حتى إن القارئ للآيات يشعر وكأن قارون يرتدي زينته أمام عينيه بهذه الزينة اللافتة للأنظار والتي تستميل إليها القلوب الضعيفة التي تبحث عن زخرف الدنيا، والتي تنظر إلى القشر دون اللباب، وأخبر المفسرون عن هذه الزينة قائلين: إنه خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان،²⁸³ عليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه،²⁸⁴ وقيل: "عليهم وعلى خيولهم الديباج - الحرير - الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة من الغلمان، وعن يساره ثلاثمائة من الجواري البيض، يرتدين الذهب والديباج...."،²⁸⁵ فالزينة حوله في كل مكان فالجواري تسر الناظرين، والغلمان تسعد الرائيين، وتشمله من أرجوان وحرير وديباج وذهب، ويحمله الرجال والخيول، كل هذا يحيط به من كل مكان كما يحيط الظرف بالمظروف، ولو أننا استبدلنا بالنظم قولنا: (خرج على قومه متزيناً) دون أن نذكر حرف الجر (في)؛ لما شعرنا بحلاوة تلك المعاني السالفة الذكر.

كما أن في إضافة كلمة (الزينة) إلى ضمير قارون في قوله تعالى: (في زينته) ولم يكن التعبير في زينة بدون إسنادها إلى ضمير الغيبة، ما يفيد أن زينة قارون كانت معروفة ومشهورة في ذلك الوقت، فهي زينة مخصوصة به وهي - أيضاً - تخالف ما يتزين به بقية القوم، إذأً فقوله تعالى: (في زينته) يصور ما كان عليه قارون من كبر وطغيان أوضح تصوير، وأتم تشخيص، وعندما خرج قارون على قومه في تلك الزينة، وأنفه تكاد أن تلامس السماء بسبب كبره، ساعتها تمنى ضعاف القلوب والإيمان - وهم عامة القوم الفقراء - أن يكون لهم مثل ما أعطي قارون من كنوز وأموال، فتمنوا بتلك الأماني قائلين: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ فقالوا: (مثل) ولم يقولوا: (يا ليت لنا ما أوتي قارون) من أجل أن يناؤا بأنفسهم عن الحسد الذي ذمه الله تعالى، وإنما قالوا ما قالوا على سبيل الغبطة المحمودة التي

283 ثياب شديدة الحمرة.

284 الألوسي ، روح المعاني ، 122/20.

285 الزمخشري، الكشاف، 468/3.

ليس فيها ذنب، وقد أشار إلى هذا المعنى العلامة البيضاوي (ت: 685هـ) قائلاً: "تمنوا مثله لا عينه، خوفاً من الحسد"،²⁸⁶ وهناك فرق كبير بين كل من الحسد والغبطة، فإن الحسد: هو أن يتمنى الحاسد أن يمتلك نعمة المحسود كما أنه يتمنى زوال النعمة عن المحسود، أما الغبطة فمعناها مختلف تماماً عن الحسد: فالغبطة هي أن يتمنى الغابط مثل نعمة المغبوط دون أن يتمنى زوال النعمة عن المغبوط .

فعندما تمادى قارون في استكباره وطغيانه عاقبه الله بعقاب في الدنيا من جنس عمله، فهذه الأرض التي سار عليها مغروراً متعالياً، ابتلغته فبعداً أن كان يمشي عليها مغروراً طاغياً، أصبح عليها ملوماً محسوراً، فقال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾،²⁸⁷ وعند تدبرنا للآية الكريمة نجد قوله تعالى: (بداره) فما فائدة الجار والمجرور؟ فيكفي أن المخاطبين علموا مصير قارون وعقابه؟! في الحقيقة تظهر فائدة الجار والمجرور (بداره)، في أن ذلك العذاب وقع أمام قومه الذين كان يتعالى عليهم، وذلك لأن قومه من بني إسرائيل وهم أصحاب إشاعات وافتراءات مغرضة، وهم لا يبحثون إلا عن الماديات والأموال، فأمر المولى - عز وجل - الأرض أن تخسف كنوز قارون التي وضعها في داره، حتى لا يقول بنو إسرائيل بعد ذلك أن موسى لم يدع على قارون إلا لأنه كان يطمع في أموال وكنوز قارون، فجاء هذا القول ضرورياً في سياق الآيات،²⁸⁸

بعد أن بين الله حال المغرور بسلطانه، والمتكبر بماله، وشأن الناظرين إلى زخارف الدنيا، والباحثين عن شهواتها، واللاهثين وراء ملذاتها، بدون وعي ولا عقل، ختم القصة بقوله تعالى:

286 البيضاوي، أنوار التنزيل، 87/7

287 القصص: 81/28.

288 الزمخشري، الكشاف، 469/3 .

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾²⁸⁹، إذ إن الهدف الرئيسي والمطلب الشريف الذي يبحث عنه كل نبيل هو العمل الصالح للفوز بنعيم الدار الآخرة، المقصود بالدار الآخرة هنا الجنة وليس يوم القيامة، وعبر عنها بـ (الدار)؛ لأن هذه الدار هي السكن الذي لن يتحول عنه أصحابه أبداً، والمكان الذي يستريحون فيها من تعب الدنيا وعنائها، وفي وصف الدار بكلمة (الآخرة) ما يدل على أنها يجب أن تكون الجنة نصب أعين العاملين المخلصين، فلا غرو فهي النعيم الأبدي والمقر النهائي، ثم توضح الآية صفات المستحقين لتلك الدار الآخرة وهم الذين ﴿لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ أي الذين لا يستكبرون ولا يتعالون ولا يفسدون في الأرض، وفي هذه الأوصاف زجر بليغ عن التكبر والفساد، حيث لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن يترك إرادتهما وميل القلب إليهما،²⁹⁰ وفي هذا التعليق حث على الابتعاد عن هاتين الصفتين، " وقيد العلو في الآية بكون هذا العلو في الأرض، مع أن العلو والاستكبار لا يكون إلا في الأرض وفي هذا زيادة في تشنيع وتقبيح المتكبرين والمغرورين بأموالهم، فعندما يتكبرون إنما يتكبرون على الأرض التي خلقوا من طينتها وسيعودون إليها بعد الموت فعلى أي شيء يتكبرون"،²⁹¹ وفي هذا بلاغ لقوم عارفين، يتجنبون الكبر والغرور لكي لا ينالهم من العقاب ما نال المتكبرين والمغرورين السابقين.

289 القصص: 83 / 28

290 شيخ زاده ، محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت: 951هـ) ، حاشية شيخ زاده على تفسير البياضوي، تح: محمد عبد القادر شاهين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1998م، 3 / 522.

291 جادو، طه محمد عبد الفتاح، الطواسين دراسة بلاغية تحليلية لقيود سور: الشعراء والنمل والقصص، ط: الأولى، دار غيداء، عمان، 2016م. ص 278 وما بعدها.

ويمكن أن نستخلص هذه القصة، أن قارون قد رزقه الله تعالى سعة في الرزق، وكثرة في الأموال حتى فاضت بها خزائنه، واكتظت صناديقه بما حوته منها، فلم يعد يستطيع حمل مفاتيحها مجموعة من الرجال الأقوياء، وكان يعيش بين قومه عيشة الترف، فكان يلبس الملابس الفاخرة ولا يخرج إلا في زينته، ويسكن القصور، ويختار لنفسه الخدم والعبيد، ويستمتع بملذات الدنيا الفانية، لكن قارون لم يكن عبداً شكوراً، فبدلاً من أن يطيع الله، أخذ يغتر بنفسه ويتكبر على قومه ويفتخر بكثرة ما آتاه الله تعالى من الأموال والكنوز، فنصحه النصحاء من قومه ووعظوه ونهوه عن فسادهم وبغيه ولكنه أجابهم جواب مغتر مفتون مستكبر مدّعياً أنه لا يحتاج إلى نصائحهم لأنه اكتسب ماله بعلمه وفضله معتقداً على زعمه أن الله يحبه ولذلك أعطاه المال الكثير. ولما حلّ بقارون ما حلّ من خسف الأرض وذهاب الأموال وخراب الدار وخسفها، ندم من كان تمنى مثل ما أوتي وشكروا الله تعالى الذي لم يجعلهم كقارون طغاة متجبرين متكبرين فيخسف بهم الأرض، جعله الله عبرة لمن تكبر بماله وعلمه.

5. حديث القرآن عن المتكبرين بقوتهم قوم عاد أنموذجا

1.5. حديث القرآن عن قوم عاد وتكبرهم بقوتهم

قصّ علينا القرآن الكريم قصة الذين تكبروا على الخلق بقوتهم، وهم قوم عاد الذين تعالوا على الناس بجبروتهم وطغيانهم، فبدلاً من يستخدموا القوة في نصرة المظلوم، ومساندة الضعيف، استكبروا في الأرض عتوا وفساداً، وقالوا: ليس هناك على ظهر البسيطة من هو أقوى منا أبداناً، فعاقبهم الله بالصيحة الشديدة التي لم تبق منهم شيئاً ولم تذر أحداً حياً. وقبل الحديث عن الآيات التي تحدثت عن تكبر قوم عاد بقوتهم، وعصيانهم لنبي الله هود - عليه السلام - نتعرف على قوم عاد من هم؟ وأين يسكنون؟ وكيف كان حالهم مع النبي الذي أرسل إليهم؟

1.1.5. من هم قوم عاد؟

قوم عاد كانوا عرباً يسكنون بمكان يسمى الأحقاف، كما أخبر الله عنهم في القرآن قائلاً: ﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾²⁹² "الأحقاف: وهي جبال الرمل، وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها: الشحر، واسم واديهما مغيث، والأحقاف جمع حقف، وهو الرمل المستطيل المرتفع، قال قتادة ذكر لنا أن عاداً كانوا حياً باليمن، أهل رمل، مشرفين على البحر"،²⁹³ وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾²⁹⁴ لماذا وصفت إرم

292 الأحقاف: 21/46.

293 القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، تج: محمد باسل عيون السود، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، 1998م.

294 الفجر: 79/6-8.

بذات العماد؛ فيه قولان: أولاً: لأنهم كانوا أهل عمد سيارة، وثانياً: سموا بذات العماد لأنهم كانوا طوال القامة، فطول العماد يدل على طول قامة من يسكن العماد، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾،²⁹⁵ أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾.²⁹⁶

وقوم عاد هم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان سيدنا نوح -عليه السلام-، وكان يعبدون أصناماً ثلاثة هم: صد، وصمود، وهرا، فبعث الله فيهم أخاهم هوداً -عليه السلام- فدعاهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.²⁹⁷

وقد تعالى قوم عاد بقوتهم، واستكبروا في الأرض بغير الحق، فحكى الله عنهم قولهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾،²⁹⁸ أي إن قوم عاد استكبروا عن الامتنال لأوامر الله -عز وجل- وقبول ما جاءهم به نبيهم هود -عليه السلام- فقالوا مغترين بقوتهم: (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)؟ أي لا يوجد على ظهر الأرض من هو أشد منا قوة وفي هذا بيان لاستحقاقهم العظمة، وجواب منهم للرسول الذين يخوفونهم من العذاب، وكان قوم عاد ذوي أجسام طوال، وخلق عظيم، وقد بلغ من قوتهم أن الرجل منهم كان يستطيع أن يقلع الصخرة من الجبل ويرفعها بيده استظهاراً لقوته، فلما استكبروا بقوتهم، وتعالوا بسطوتهم، ذكرهم الله -عز وجل- بحقيقة غابت عنهم، فهو الذي منحهم تلك القوة، وهو الذي يستطيع أن يسلبها منهم بين عشية أو ضحاها فقال لهم: (أَوَلَمْ يَرَوْا) أي أغفلوا ولم ينظروا، أو ولم

295 الفجر: 79 / 8.

296 فصلت: 41 / 15. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 5 / 310.

297 ابن كثير، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: الأولى، دار هجر، القاهرة، 1418هـ، 1997م، 1 / 286.

298 فصلت: 41 / 15.

يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) أي أعظم منهم قدرة فإنه سبحانه وتعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره سبحانه وتعالى، مفيض للقوة والقدر على كل قوي وقادر، وفي هذا إشارة إلى أن ما خوفهم منه رسلهم الذين أرسلوا إليهم ليس من عند أنفسهم بناء على قوة منهم، وإنما هو من الله - عز وجل - خالق القوى والقدر وهم يعلمون أنه - سبحانه وتعالى - أشد قوة منهم، وفيه ضرب من التهكم بقوم عاد، فجاءهم العذب بسبب أنهم (كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) أي ينكرونها.²⁹⁹

وقد ذكر لنا القرآن قصة قوم عاد وتكبرهم في تسع سور قرآنية، منها المفصل والموضح لقصتهم، ومنها المجمل والموجز لها، فذكر الله قصة عاد في سوروهي على حسب الترتيب المصحفي: الأعراف، وهود، الشعراء، وفصلت، والأحقاف، والذاريات، والقمر، والحاقة، والفجر.

2.1.5. حديث القرآن عن تكبر قوم عاد بقوتهم

وسوف أذكر نموذجا قرآنيا صور لنا تكبر قوم عاد بقوتهم، وظنوا أنه لا يوجد عاصم لهم من الله، فتعالوا في الأرض واستكبروا وزاد طغيانهم وبغيهم، ذكره الله تعالى في سورة الشعراء.

1.2.1.5. الآيات التي وردت في هذا الموضوع

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ* وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ* وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ

299 الألويسي، روح المعاني، 12/ 463 - 464.

جَبَّارِينَ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا*وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ*وَجَنَاتٍ
وَعُيُونٍ*إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ*قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِّنَ
الْوَاعِظِينَ*إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ*وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ*فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴿ 300.

تبيين الآيات الكريمات ما كان عليه قوم عاد من كبر وعناد وتعال على خلق الله
بقوتهم وبطشهم، وقد وردت هذه الآيات في سورة الشعراء .

2.2.1.5. التحليل التفسيري للآيات

تبدأ الآية ببيان أن قوم عاد قابلوا دعوة نبيهم هود بالكذب والاستكبار فقال تعالى:
﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾، ونلاحظ هنا أن الآية تتحدث عن رسول واحد هو سيدنا هود- عليه
السلام- فقوم عاد لم يكذبوا إلا إياه، فلماذا جمع النظم الكريم كلمة (المرسلين)؟ نعم هناك
أسرار وراء هذا الجمع منها: أن الأنبياء جميعا جاءوا بشريعة واحدة وهي شريعة الإسلام،
فالأنبياء جميعهم يتحدثون في الهدف، وإن اختلف منهج كل واحد منهم، فهدفهم الإسلام
والتوحيد، فكل نبي جاء بالإسلام، وفي تكذيب واحد من هؤلاء الأنبياء الكرام تكذيب لكل
الأنبياء، وإلى هذا المعنى أشار العلامة البقاعي(ت:885هـ) قائلاً عند تفسير قوله تعالى:
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾،³⁰¹ " أي بتكذيبهم نوحاً -عليه السلام-؛ لأنه أقام الدليل على
نبوته بالمعجزة ومن كذب واحدة فقد كذب بجميع المعجزات لتساوي أقدامها في الدلالة على
صدق الرسول ".³⁰²

300 الشعراء: 123-139.

301 الشعراء: 26/

302 البقاعي، نظم الدرر، 373/5.

كما أن هذا الجمع -أيضاً- فيه تشنيع وتقبيح لهؤلاء المكذبين من قوم عاد الذين يريدون وأد الرسالة في مهدها، وهم بهذا الصنيع لن يتحملوا إثم تكذيب سيدنا هود -عليه السلام- فقط، بل سيتحملون إثم كل مكذب لكل نبي سيأتي من بعده؛ لأن جميع الأنبياء يتحدون جميعاً في الهدف وهو الدعوة للإسلام والتوحيد.

وصف سيدنا هود -عليه السلام- نفسه بالأمانة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، وهذا الوصف ليس تزكية لنفسه وليس للتخصيص؛ لأن جميع الرسل متصفون بالأمانة، وإنما هو تهيئة لنفوس قومه لاستقبال رسالته بدون تردد أو ريب؛ فهو مشهور بينهم بالأمانة، ومن لا يكذب على الناس ولا يخونهم في حين أنهم لا يطلعون على الغيب، لا يمكن أبداً أن يكذب على خالق الناس الذي يطلع على السر وأخفى.

ويبرئ سيدنا هود - عليه السلام - ساحته من طلب شيء مادي أو معنوي من البشر نظير دعوته ورسالته، فهو يدعوهم لوجه الله فلا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً.³⁰³

ولما رأى سيدنا هود - عليه السلام - آثار الكبر والخيلاء تظهر عليهم بتشديد الأبنية العالية، فقال منكرًا عليهم هذا الكبر، ومستقهما استفهام المنكر: ﴿تَعْبَثُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾،³⁰⁴ فهذه الآيات توضح ما كان عليه قوم عاد من كبر وخيلاء واغترار بطول الأمل، فبنوا بناء من ظن أنه مخلد، وعاملوا غيرهم بالسفه والطيش والبطش، ففي الآية الأولى بيان إسرافهم في البنين، فقد بنوا على كل مكان مرتفع بناءً إشارة إلى قوتهم، في حين أنهم ليسوا في حاجة لمثل هذه الأبنية الكثيرة، فقد أغنتهم النجوم عنها.

والريع: هو المكان العالي المرتفع، وجملة (تعبتون) أظهرت لنا السبب الذي من أجله شيدت تلك الأبنية، وهو مجرد العبث والإسراف، فلا حاجة من وراء البناء على المرتفعات إلا

303 الزمخشري، الكشاف، 370/3 بتصرف.

304 الشعراء: 128-129.

للاهتمام في أثناء سيرهم في الطريق، والنجوم قد أغنتهم عن مثل هذه الأبنية، إذاً فلا هدف من وراء البناء إلا هذا العبث فقد قيل: إنهم بنوا هذه الأبنية لكي يهتدوا بها أثناء سيرهم في الطريق،³⁰⁵ وقيل: "لكي يعرف من يراها أنهم أغنياء تفاخراً وكبراً وعجبا منهم"،³⁰⁶ وقيل: "لكي يجتمعوا إليها للعبث بمن يمر بهم من الناس المسافرين".³⁰⁷

هذا والكبر يبدو للعين من خلال الأسباب التي ذكرها المفسرون لبناء تلك الأبنية، فلو كان البناء لتلك المباني والأرياع للاهتمام أثناء الطريق؛ لكان هذا هو العبث؛ لأن الله - تعالى - خلق النجوم لكي يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر فلا حاجة لتلك الأبنية المرتفعة العالية، فإن قيل: "إن النجوم قد يحجبها غيم أو ما سواه، أجيب بأن مر الغيم نادر لا سيما في ديار العرب ... قال الفاضل اليمني: إن أماكنها المرتفعة تغني عنها"،³⁰⁸ "إن قيل: إن النجوم لا تكون في النهار، أجيب عليه بأنه "لو احتيج إليها لم يحتج أن يجعلها في كل ريع يكفي في بعضها أو واحدة منها فكثرتها دليل على الكبر والعبث".³⁰⁹

إذاً فبناؤها في كل الأحوال عبث، والعبث يبدو في الأمرين الآخرين وهما البناء للتكبر والاستعلاء أو للعبث بمن يمر بهم من الناس.

وفي ذكر كلمة (كل) ما يمهد لجملة (تعبثون)، فهي تدل على كثرة الأرياع التي بناها قوم عاد فهي كثيرة، والأموال التي أنفقت على بنائها لا طائل من ورائها، وفي النهاية هم ليسوا في حاجة لهذه الأبنية، ولو أنهم اكتفوا ببناء واحد على ريع من هذه الأرياع لكفاهم ذلك ولكنهم أرادوا العبث لا غيره، وجاءت جملة (تعبثون)؛ لكي تدل على أن العبث من قوم عاد كان يتجدد عند كل بناء، فهو إصرار على العبث باستمرارهم في بناء تلك الأبنية، فكل الناس

305 الزمخشري، الكشاف، 372/3

306 الرازي، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، 157/24.

307 الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، 22/7

308 الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، 22/7.

309 المصدر السابق.

يبنون على المرتفعات، والمنخفضات ولا إنكار في ذلك، إنما الإنكار هنا في القصد الذي يبغونه من وراء هذا البناء وهو العبث والكبر والبطر، وهذا ما أبصره العلامة الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ) بقوله: " لما صار البناء شاغلاً عن المقصد النافع للحياة في الآخرة، نزل فعلهم المفضي إلى العبث منزلة الفعل الذي أريد به العبث عند الشروع فيه، فأنكر عليهم البناء، مع أنهم لما بنوا ذلك ما أرادوا بفعلهم العبث، فمناط الإنكار، هو البناء المقيد بالعبث لأن الحكم إذا دخل على مقيد بقيد انصرف إلى ذلك القيد".³¹⁰

وأشار إلى صورة أخرى من صور تكبرهم وبطرهم في قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ والمصانع جمع مصنعة وهي القصور المرتفعة المشيدة،³¹¹ وقيل: "إن المصانع هي الجابية المحفورة في الأرض، وروى عن قتادة مبنية بالجير، يخزن بها الماء، ويسمى صهريجاً وماجلاً"،³¹² وجملة (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) أي راجين ومؤمنين أن تخلدوا،³¹³ وجملة الرجاء سبب لاتخاذ المصانع، وهذا الجملة تكشف عن مدى حب قوم عاد للبقاء الدائم المستحيل على غير الله، فإذا أريد بالمصانع القصور المشيدة، فهل تشييدهم للقصور هو الذي سيخلدهم؟ بالطبع لا، وإنما صارت قصورهم مضرِباً للعظة والاعتبار فقال تعالى: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾،³¹⁴ فيوحي هذا القيد بأن الإنسان مهما شيد من القصور، ومهما اعتمد على كل أسباب الحياة فإن الفناء سيلحقه ويلحق ما شيد وبني.

وإن أريد بالمصانع صهاريج المياه، فلن تغني عنهم تلك الصهاريج شيئاً ولن ترد عنهم العذاب، فالحرص عليها حرص على الخلود، وهذا ما لا يكون لمخلوق، وسواء أريد

310 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 167/19.

311 الزمخشري، الكشاف 272/3.

312 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 167/19.

313 درويش، إعراب القرآن وبيانه، 108/7.

314 الفجر: 89 / 7 - 8.

بالمصانع القصور أم الصهاريج، فالقيد أريد به السخرية والاستهزاء بهؤلاء الذين ظنوا أنهم مخلصون بما اتخذوا من مصانع.

ويرى العلامة ابن عاشور (ت: 1393هـ) "أن جملة (تعبثون)، كما أنه قيد للبناء على كل ريع، فهو قيد أيضاً لاتخاذ المصانع؛ فالتكبر والتعالي بتلك الأبنية وهي المصانع سواء أكانت قصوراً أم صهاريج من أجل الخلود نوع من العبث والبطر؟"³¹⁵

لم يكتف قوم عاد بالكبر والاستعلاء بقدرتهم على التشييد والبناء، وحب البقاء بالبناء على كل ريع واتخاذ المصانع، بل طغوا وتكبروا وظلموا وتجاوزوا الحد في هذا الظلم بقوتهم وبطشهم بالضعفاء من الناس، وسجل النظم الكريم هذا البطش بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بِطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾،³¹⁶ وقيدت هذه الآية بقيد لا يستغني المعنى عنه، وهو (جَبَّارِينَ)، فهو حال من الفاعل في بطشتم، جاءت لبيان أن بطش وطغيان قوم عاد بطش مذموم سيعاقبون عليه في الآخرة التي لا يؤمنون بها.

ولكن هل هناك بطش مذموم وبطش محمود، حتى نسمى بطش عاد بأنه بطش مذموم؟ نعم هناك بطش مذموم وآخر محمود، فالبطش المحمود هو الذي يكون لإظهار حق، أو لرد باطل، أو لمقاومة ظالم، من أجل ذلك أسند البطش إلى الحق - تبارك وتعالى - في القرآن الكريم في أكثر من آية فقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾،³¹⁷ وقال تعالى - أيضاً - في موضع آخر: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾،³¹⁸ فالبطش في الآيتين بطش محمود فهو لمعاقبة مجرم على ما قدمت يداه، ورد حقوق لكثير من الذين وقع عليهم الظلم والطغيان، ومن البطش المحمود - أيضاً - إقامة الحدود على مقترفي موجب الحد ، مثل القتل العمد فالقاتل عمداً يقتل قصاصاً، وكذلك منه قطع يد السارق بدون عذر، ورجم

315 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 167/19.

316 الشعراء: 30/26.

317 البروج: 12/85.

318 الدخان: 16/44.

الزاني المتزوج، وجلد غير المتزوج، كل هذا من البطش المحمود، فمما هو معلوم أن حياة جميع المتمتع ترتبط بهذا البطش، فالله - سبحانه وتعالى - سمى في القرآن الكريم القصاص حياة؛ لأن فيه ردعاً لكثير من الظالمين المتكبرين بقوتهم وطغيانهم ممن تسول نفسه التعالي بقوته على الضعفاء والمساكين.

ويتضح لنا من سياق الآيات أن بطش قوم عاد ليس من البطش المحمود، إنما هو من البطش المذموم، من أجل ذلك وصف بقوله تعالى: (جَبَّارِينَ)؛ تخصيصاً لهذا البطش وتمييزاً له عن البطش المحمود، وأنه مغاير له تمام في الوصف والفعل، فبطش قوم عاد بطش ظلم وتجبر طغيان.

ونلاحظ أن جملة الشرط خصصت بأداة الشرط (إذا)؛ لكي تفيد وتبين أن بطش قوم عاد كان كثير الوقوع منهم، فلم يقع هذا البطش منهم مرة واحدة على سبيل النذرة، أو مرتين غالباً، ولكن البطش المذموم تكرر من قوم عاد كثيراً، حتى أصبح البطش كالسمة التي يعرف ويتميز بها قوم عاد عن غيرهم، فالله أمهلهم كثيراً، ولكن لما صار البطش غالباً على أحوالهم وأفعالهم عاقبهم الله بالعقاب الشديد في الحياة الدنيا وفي الآخرة.³¹⁹

وقال قوم عاد لنبيهم هود - عليه السلام -: ﴿أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾،³²⁰ "أي أجئتنا لكي تتوعدنا بالعذاب من الله على ما نحن عليه من العقيدة لكي نعبد الله وحده وندين له بالطاعة خالصاً ونترك عبادة الأصنام والآلهة التي كان آباؤنا وأجدادنا يعبدونها ونتبرأ منها؟ فلن نفعل ذلك ولن نتبعك على ما تدعوننا إليه، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ عَلَى مَا تَقُولُ وَتَعِدُ".³²¹

319 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 16/169

320 الأعراف: 70 / 7.

321 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 10 / 279.

ثم تمادى قوم عاد في طغيانهم وتكبرهم، وردوا بلا مبالاة على نبيهم قائلين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعِظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾.³²² وهكذا يكون رد المتكبرين الطغاة على دعوة الرسول الذي جاء لكي ينقذهم من التهلكة، فأوضحت الألفاظ والعبارات ما تكنه صدورهم من حقدٍ دفين على ما دعاهم إليه سيدنا هود - عليه السلام - فقالوا له: يستوي عندنا وعظك وعدم وعظك، فلا تتعب نفسك معنا بتكرار الوعظ الإلحاح فيه، فلن ينفع معنا تكرار الوعظ، وأرادوا بذلك أن يبينوا لسيدنا هود - عليه السلام - عدم اهتمامهم بوعظه وتكراره لهم مرات، وعدم اعتدادهم بوعظه وإرشاده، لن ينفع معنا ما تفعله من الوعظ وتكراره؛ لأنك أصلاً لست معدوداً من عداد الواعظين الذين يسمع لوعظهم وكلامهم، وبالغوا في هذا الأمر.³²³

وصف اليوم بصفة العظيم دون أن يوصف به العذاب في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛³²⁴ وذلك لأن تعظيم اليوم يعتبر تعظيم للعذاب، لأن العذاب حدث في اليوم، فإذا كان اليوم عظيماً، فبالتالي يكون العذاب عظيماً - أيضاً -³²⁵ قال الزمخشري (ت: 538هـ): "عظم اليوم، لحلول العذاب فيه، ووصف اليوم بالعظم أبلغ من وصف العذاب به؛ وذلك لأن الوقت إذا عظم كان موقعه من العظم أشد".³²⁶

فبعد أن استمر القوم في كبرهم وعنادهم، وأصروا عليه واستكبروا استكبار، حذرهم نبيهم من قرب حلول العذاب ووقوعه عليهم بين عشية أو ضحاها فقال لهم متوعداً: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ

322 الشعراء: 26 / 136-138.

323 الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، 22/7.

324 الشعراء: 26 / 135.

325 جادو، الطواسين، 164.

326 الزمخشري، الكشاف، 375/3.

بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ»³²⁷ "جاوبوا هودا بما أنبأ عن ضياع حجته في جنب ضلالة عقولهم ومكابرة نفوسهم؛ ولذلك أعادوا تكذيبه بطريق الاستفهام الإنكاري على دعوته للتوحيد"³²⁸ فدعا هود ربه قائلاً شاكياً من تكبر قومه واستعلائهم وطغيانهم: «رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ»³²⁹ فلما تيقن من عدم إيمانهم سأل الله بأن ينزل عذابه على أولئك المتكبرين، والمعنى أهلكهم بسبب تكذيب قوم عاد لنبيهم هود - عليه السلام-، إذ في نصرته هلاكهم، أو المعنى انصُرني يا رب بدل ماكذبون، كما تقول: هذا بذاك، أي بدل ذلك، والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم لذة الانتصار عليهم،³³⁰ فبين النظم الكريم أنهم سوف يندمون ندماً شديداً على عدم اتباعك والسير على منهجك فقال تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾³³¹.

ذكر النظم الكريم خبر هلاك أولئك المتكبرين جراء ما اقترفت أيديهم، فذكر هذا العذاب تارة مجملاً وتارة مفصلاً فأجمله في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾³³² وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾³³³ نجى الله سيدنا هودا واتباعه من عذاب غليظ، وذلك أن الله - عز وجل - بعث على قوم عاد عذاب السموم، فكانت الريح الشديدة تدخل في

327 الأعراف: 71/7.

328 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 8/ 207.

329 المؤمنون: 26/23.

330 النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 2/ 465.

331 المؤمنون: 40/23.

332 الأعراف: 72/7.

333 هود: 58/11، 60.

أنوفهم، وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً، وقيل: أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة، ولا عذاب أغلظ من عذاب الآخرة وأشدّ، وقوله: برحمة منا، يريد بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له، (وَتِلْكَ عَادٌ) إشارة إليه باسم الإشارة الموضوع للبعيد؛ لبيان بعدهم عن رحمة الله - تعالى - أو هو إشارة إلى قبورهم وآثارهم التي جعلها الله عبرة لغيرهم، حتى إذا رأى أسلافهم وأحفادهم ومن سار على كبرهم وطغيانهم، فلن ينجو من عذاب الله كما لم ينج قوم عاد بعد أن تجبروا وتكبروا واغترتوا بقوتهم وسطوتهم وبطشهم كأنه قال: سيحوا في الأرض فانظروا إليهم واعتبروا من حالهم ومآلهم، ثم استأنف وصف أحوالهم فقال: (جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ)؛ جمع كلمة رسل هنا؛ لبيان أنهم إذا عصوا سيدنا هود - عليه السلام - وهو رسول واحد، فكأنهم عصوا جميع أنبياء ورسل الله - تعالى -؛ لأنهم جميعاً مشتركون في هدف واحد وهو تبلغ الإسلام والأمر بتوحيد العبادة لله - تعالى -، كما قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾³³⁴، فقد قيل: أنه لم يرسل إلى قوم عاد إلا سيدنا هود - عليه السلام - وحده.

ووصفهم الله في الذكر الحكيم بالتجبر والعناد والطغيان فقال تعالى في شأن من اتبع قوم عاد ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الذين دعواهم إلى التكبر والطغيان وتكذيب الرسل،³³⁵ وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾³³⁶.

وفي آيات أخرى جاء ذكر العذاب الذي أصاب قوم عاد مفصلاً ومبيناً فيه نوعه وكيفيته كما في قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾³³⁷؛ فبين نوع العذاب وهو

334 البقرة: 285.

335 الزمخشري، الكشاف، 2/405.

336 الشعراء: 139، 140.

337 الحاقة: 6/6.

العذاب بالريح السوموم الشديدة فإن في إهلاكهم شدة قوتهم لعلامة ودليل على قوتنا، علما بأننا أهلكناهم بأضعف الأشياء وهي الريح؛ للدلالة على وحدانيتنا وصدق نبوة هود ولم يؤمن؛ بالله، فإنه لم يؤمن منهم إلا قليل.³³⁸

وساق الله السحابة السوداء التي اختارها بما فيها من النعمة إلى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له: المغيث، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا﴾ لما رأوا هذا العارض وهو الناشئ في الجو كالسحاب، استبشروا به وفرحوا بمقدمه إليهم معتقدين أنه سحاب يحمل بين طياته المطر الذي يسقيهم ويسقي دوابهم وزروعهم، فإذا هو سحاب محمل بالعذاب الذي ظنوه رحمة وخيرا، فإذا هو نعمة وعذاب شديد رجوا فيه الخير، فنالوا منه غاية الشر، ظنوه سقياً رحمة، فإذا هو سقيا عذاب؛³³⁹ ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ أي من وقوع العذاب فقد طلب قوم عاد من نبيهم هود بأن يعجل وقوع العذاب عليهم؛ إذ كانوا يعتقدون كذبه فقالوا مستهزئين بكلام نبيهم هود: ﴿فَأَتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فقال لهم سيدنا هود لما عاينوا العذاب بأعينهم، وشاهدوه بأنفسهم دون مخبر لهم: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾،³⁴⁰ فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فشاهدوه سحابا عارضا في ناحية من نواحي السماء، والعرب تسمي السحاب الذي يُرى في بعض أقطار السماء عشيا، ثم يصبح من الغد قد استوى، وحبا بعضه إلى بعض عارضا، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ، فكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح امرأة من عاد يقال لها: فهد، فلما

338 الطبراني، تفسير القرآن العظيم، 5/ 487.

339 ابن كثير، البداية والنهاية، 1/ 129.

340 الأحقاف: 24-25/ 46.

تبيّنت ما فيها صاحت ثم صعقت، فلما أفاقوا قالوا: ما رأيت يا فهد؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها.³⁴¹

ثم بين النظم الكريم مدة العذاب وزمان بقائه عليهم فقال تعالى في موضع آخر: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾،³⁴² ومعنى كلمة الحسوم أي الدائمة الكوامل المتتابعات، " فلم تدع من عاد أحداً إلاّ وأهلكته، واعتزل سيدنا هود -عليه السلام فيما ذكر لي- ومنّ معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومنّ معه من المؤمنين إلاّ ما تلين عليه الجلود، وتلتذ الأنفس، وإنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة، فأهلكوا بريح صرصر-وهي الباردة- والعاتية الشديدة الهبوب، وكان أولها الجمعة".³⁴³

ثم بين النظم حال المتكبرين بعد وقوع العذاب عليهم، إذا نظر إليهم الرائي بعد هلاكهم فقال تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾،³⁴⁴ شبههم بأعجاز النخل التي لا رؤوس لها؛ وذلك لأن ريح السموم كانت تجيء إلى المعذب منهم على ضخامة قوامه فتحمله فترفعه في الهواء كأنه ريشة صغيرة، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه، فيبقى جثة بدون رأس،³⁴⁵ تدخل الريح تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾،³⁴⁶ أي في يوم نحس عليهم

341 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 22 / 127.

342 الحاقة: 69 / 7.

343 ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، 9 / 2799.

344 الحاقة: 69 / 7.

345 السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي (ت: 489هـ) ، تفسير القرآن للسمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، 1418هـ/1997م ، 6 / 35.

346 القمر: 54 / 19.

مستمر عذابه عليهم، ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾³⁴⁷ أصول نخل قد انقلع من مغارسه، وشبهوا بأعجاز النخل؛ لأن الريح كانت تقطع بروؤسهم، فتبقى أجسادا بغير رؤوس، فيتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث ضخام طوال؛ كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بدون فروع، وذكر صفة نخل (منقعر) بالتذكير على اللفظ، ولو حملها على المعنى لذكرها مؤنثا كما قال في موطن آخر: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.³⁴⁸

وفي موطن آخر وصف الله - تبارك وتعالى - الريح التي أرسلت على قوم عاد بالريح العقيم، فقال تعالى في قصة إهلاك قوم عاد المتكبرين: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾³⁴⁹ "الريح العقيم هي: التي تخلو من المنافع التي تزجى لها الرياح من إثارة السحاب وسوقه، ومن إلقاح الأشجار بنقل غبرة الذكر من ثمار إلى الإناث من أشجارها، أي الريح التي لا نفع فيها، أي هي ضارة"،³⁵⁰ ولهذا قال: ﴿مَا تَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ﴾³⁵¹ "فهو ارتقاء في مضرة هذا الريح فإنه لا ينفع وأنه يضر أضرارا عظيمة".³⁵²

وعبر النظم الكريم عما عذب به قوم عاد بكلمة (الريح) بالإنفراد، ولم يذكرها بالجمع فلم يقل: (الرياح) فما الفرق بين الريح والرياح في القرآن؟ الفرق بين ريح ورياح تكلم فيه بعض العلماء وقالوا: إن الرياح إذا جاءت بالجمع تكون للخير، وإذا جاءت مفردة (ريح) فإنها تدل على الشر، كما قال الإمام القرطبي في تفسيره: "وكل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع، وما كان بمعنى العذاب فهو موحد"،³⁵³

347 القمر: 20 / 54.

348 الحاقة: 69 / 7؛ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 3 / 403.

349 الذاريات: 41 / 51.

350 الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11 / 27.

351 الذاريات: 42 / 51.

352 الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11 / 27.

353 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 15 / 10.

ونجد أن كلمة الرياح مرسومة بالألف لم ترد إلا في موضع الخير ما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾،³⁵⁴ فقد استعملت الرياح هنا في الخير؛ لذا جاءت بلفظ الجمع؛ لكي تدل على الخير؛ لذلك وصفت بالمبشرات، وكذلك جاءت جمعا في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾،³⁵⁵ لفظة (الرياح) دلت في هذه الآية على الرحمة، فهي لواقح وليست عقيما.

وعندما تأتي كلمة الريح مفردة في القرآن الكريم، فإنها تدل على العذاب والعقاب، كما هي في آيات البحث وكما في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾،³⁵⁶ فهذه اللفظة (الريح) جاءت مفردة لكي تدل على العذاب من أجل ذلك وصفت بالعقيم، أي التي لا تحمل خيرا في طياتها، فهذه الريح قد أرسلت إلى قوم عاد، ومن المعلوم أن الله - سبحانه وتعالى - عاقبهم بتلك الريح، فهي تعقم ما مرت به، وهي لا تلقح ولا خير فيه، وقد وصفت الريح - أيضا - بالعاتية كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾،³⁵⁷ وكثرة الأوصاف التي وصفت بها الريح التي أهلكت قوم عاد إن دلت فإنما تدل على شدتها وقوتها؛ لتتناسب من شدة طغيانهم وتكبرهم على خالقهم.

ومع شدة هذا العذاب الذي أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب، فقد استمر عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتاليات متعاقبات، فلم تبق منهم أحدا، بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والكهوف التي احتموا بها، فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة، فما أغنت عنهم حصونهم التي

354 الروم: 46/30.

355 الحجر: 22/15.

356 الذاريات: 41/51.

357 الحاقة: 6/69.

احتتموا بها فكما تعالوا واستكبروا بقوتهم وشدتهم، وقالوا مستكبرين: من أشد منا قوة؟ سلط الله عليهم ما هو أشد منهم قوة، وأقدر عليهم وهو الريح العقيم، وكانت الريح تقلع الأشجار الكبيرة العظيمة بعروقتها، "وما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة".³⁵⁸

ثم إن هودا -عليه السلام- اعتزل بقومه مع الذين آمنوا به وخط لهم خطأ، وكانت وهكذا قص الله علينا نبأ قوم عاد الذين استكبروا وبين عقابهم ليكون عبرة لكل من تكبر بقوته، وتناسى من منحه تلك القوة، ونسى أصله الضعيف الذي وصفه ربنا تبارك وتعالى قائلاً: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.³⁵⁹

358 السمعاني، تفسير القرآن، 6 / 50.

359 النساء: 4 / 28.

6. حديث القرآن عن المتكبرين عن العبادة والسجود

1.6. تكبر إبليس عن السجود لآدم - عليه السلام -

أمر الله الملائكة الكرام بالسجود لسيدنا آدم سجدوا احترام وإجلالاً، لا سجدوا عبادة وتعظيم، فسجد كل الملائكة إلا إبليس اللعين، ساقه الكبر والغرور إلى العصيان والإباء، فقال الله تبارك وتعالى مسجلاً إباء إبليس واستكباره: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾³⁶⁰ والسبب الرئيس الذي منع إبليس من السجود هو غروره واستكباره ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾³⁶¹.

1.1.6. المواضع التي ورد فيها تكبر إبليس عن السجود

وقد سجل القرآن الكريم قصة إباء إبليس وامتناعه عن السجود لسيدنا آدم في تسع سور من القرآن الكريم، فوردت قصته في سور: البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه، والشعراء، وسبأ، وص، وقد جاءت كل قصة متناسبة مع السياق الذي وردت فيه، والمفصل منها يكمل المجلد، والمطنب فيها يوضح الموجز، وسأقف مع نموذج من تلك السور التسعة لنقف على أقوال المفسرين فيه.

2.1.6. الآية التي وردت في هذا الموضوع

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾³⁶².

360 ص: 38 / 73 - 74.

361 ص: 38 / 73 - 74.

362 الحجر: 15 / 28 - 31.

وردت تلك الآية في سورة الحجر وهي "سورة مكيّة إجماعاً، وعدد آياتها تسع وتسعون بلا خلاف، وكلماتها ستمائة وأربع وخمسون. وحروفها ألفان وسبعمائة وستون، وتسمّى سورة الحجر؛ لاشتمالها على قصّتهم، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾".³⁶³

3.1.6. التحليل التفسيري للآية

بدأت الآيات بتذكير الناس بعنوان الربوبية، وأنه ليس هناك مسوغ لتكبر المتكبرين، ولا ينبغي للإنسان أن ينسى أصل خلقه فيتكبر على أوامر ربه الذي خلقه فقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ)، فاختص النظم الربوبية دون الألوهية فلم يقل: إذ قال الله؛ لأنه المناسب لمقام وسياق الآيات ذلك لأن الرب هو المنعم والمربي والمحسن والمتفضل بالنعمة دائماً، وهذا يلائم مقام الحديث عن خلق آدم حيث الاعتناء والاهتمام بهذا المخلوق، واللام في الملائكة لام الاستغراق لاستغراقها أفراد الجنس استغراقاً حقيقياً، وهو الأليق بمقام التكريم الذي لقيه آدم - عليه السلام - في الملائكة الأعلى، ويؤيد هذا التكريم امتثال الملائكة للأمر بالسجود لآدم، ولم يأبوا كما فعل إبليس اللعين.

وقد جاء خبر (إن) ضميراً للمتكلم وذلك للتعظيم ولبیان اختصاصه -تعالى- وحده بهذا الفعل دون غيره، كما أنّ في مجيء (خالق) على صيغة اسم الفاعل؛ للدلالة على الثبوت والدوام، فلو قيل: (إني أخلق) بالفعل المضارع لتغير المعنى، وذلك لدلالة اسم الفاعل (خالق) على أن الله -سبحانه وتعالى- "فاعل ذلك البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه"،³⁶⁴ وهذا يعني أن هذا الوصف ثابت لله تعالى ودائم له سبحانه وتعالى.

وجاءت كلمة (بشراً) نكرة؛ لكي تفيد التعظيم والتنبيه على ارتفاع شأن هذا المخلوق، أي: خالق نوعاً عظيماً من المخلوقات، وهذا هو الملائم لسياق الآيات والأنسب بالمقام الذي

363 الحجر: 15/80. الفيروز آبادي، بصائر نوي التمييز، 1/272.

364 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 4، 72.

أمر الله فيه ملائكته بالسجود له، وعبر عن المخلوق بالبشرية دون ما يرادفه كالإنسان مثلاً؛ "لأنَّ البشر يقتضي الظهور، سموا بشراً لظهور شأنهم"،³⁶⁵ ويضاف إلى ذلك -والله أعلم- أنَّ البشر هنا مناسب للخلق الأول قبل أن يكون هناك إنس ولا غيره فلو قيل: إني خالق ناساً، ما صلح، ثم إنَّ لفظة (بشراً) هي المناسبة للسياق من حيث إنَّ الآيات تتحدث عن تسوية الجسد (إذا سويته)، والارتباط وثيق بين البشر والجسد لا بين الناس والجسد.

وبينت الآيات المادة التي خلق منها آدم وهي الصلصال وهو "تردد الصوت من الشيء اليابس، ومنه قيل: صل المسمار، وسمي الطين الجاف صلصالاً، وقيل: الصلصال: المنتن من الطين"،³⁶⁶ وخصَّ الخلق من صلصال من حماء مسنون بالنسبة للإنسان "لما في الصلصال من الجفاف واليبوسة، وزوال الماء والبلولة مما يتناسب أجمل مناسبة بما ذكر بجواره من النارية التي هي أصل الجن"،³⁶⁷ وفي هذا إشارة إلى التناقض التام بين طبيعتي الإنسان والجن، وهو من أهداف القصة في هذه السورة، ولعل علاقة هذه المرحلة من الخلق بمقامها من سورة (الحجر) يرجع إلى أن المادة الصلصالية تحفظ ما بداخلها، وأن مادة الصلصال لا تصير إلى ذلك إلا بفضل الرياح، كما أن الله -سبحانه وتعالى- ذكر حديث الحشر بعد فناء الأجساد وتحللها وتعفنها قبل هذه الآية، فبين لهم أنه -تعالى- قادر على إعادة هذه الأجساد؛ لأنه خلقها من مادة قريبة الشبه مما هم عليه وهي صلصال منتن متغير طالت مدة مكثه.

ثم بين أصل المادة التي جعل منها الصلصال وهو الحمأ المسنون وهو ذلك الأصل المهين المتغير المنتن أنسب في الرد على أولئك الكافرين المتلهين في الآمال، وهو أقوى في

365 أبو هلال العسكري، *الفروق اللغوية*، ص 267.

366 الراغب الأصفهاني، *مفردات ألفاظ القرآن*، مادة (صلل) 1/ 586.

367 الراجحي، عبد الغني، *متشابه النظم في قصص القرآن مقارنة وتحليل*، رسالة دكتوراه، مخطوط برقم

76 بكلية أصول الدين، بدون تاريخ، ص 34.

الدلالة على أنهم ما كان ينبغي لهم والحال أن أصلهم من الحمأ المسنون - مثل هذا التلهي عن الإيمان وعمل الصالحات.³⁶⁸

ولعل السبب في ذكر الصلصال لكي لا ينسى الإنسان أصل خلقه، ولا يأخذه الغرور بأن الله أسجد له الملائكة الكرام، فما سجدوا له إلا طاعة لربهم، وتعظيماً للروح التي نفخها الله فيه؛ ولأن مبدأ خلق الإنسان هنا قول ببدء خلق الجان، ولما قال في خلق الجان (من نار السموم) ناسب أن يكون المقابل له (صلصال من حمأ مسنون)؛ لأن الطين إذا قوبل بالنار جف ويبس ويسمى له صوت إذ حرك، ربما يؤيد هذا قوله في سورة (الرحمن) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾،³⁶⁹ فأثر الصلصال في مقابلة المارج من نار.³⁷⁰

وجاء جواب الشرط قوله: (فقعوا) بصيغة الأمر للدلالة على الوجوب الفوري أي إذا ثبت ذلك فقعوا، وفي اقتران الأمر بالفاء (فقعوا) للنهي عن التراخي في امتثال الأمر، وأن المأمور به واجب النفاذ، فعلة الأمر بالسجود الإشارة إلى كونه يفضلهم، وعلة كونه يفضلهم أفادته الإضافة في (روحي) ولذلك لم يأت التركيب ب: نفخت فيه الروح؛ لأنها ليست كأبي روح أخرى بل هي من روح الله حيث إن إضافة الروح إليه - سبحانه - تشريف لآدم كما يقال: بيت الله، وناقاة الله، وعبد الله

ونلاحظ أن هناك فرقا في الأمر بالسجود حيث عبر النظم عن السجود في سورتَي (الأعراف والإسراء) (اسجدوا) أمر صريح تنجيزي، بينما جاء الأمر في سورتَي (الحجر وص) (فقعوا له ساجدين) وهو أمر تعليلي، حيث علق السجود بتسوية الخلق ونفخ الروح،

368 السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، ط: الثانية، دار عمان، الأردن، 1422هـ، 2002م، ص304.

369 الرحمن: 14-15.

370 المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط: الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1413هـ، 1992م، 1/354.

وظاهر الأمر التجيزي بالسجود يقتضي أن يكون السجود بعد استكمال خلق آدم، أما الأمر التعليقي فيقتضي أن الأمر بالسجود كان سابقاً على خلق آدم وتسويته ونفخ الروح فيه بحيث يتم وقوع الملائكة ساجدين له بعد الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه مباشرة فإن الأمر بالسجود كان تجيزياً بعد الخلق والتسوية ونفخ الروح، ولا يناقض ذلك ما ورد في الأمر التعليقي في الأمر بالسجود عقب الخلق والتسوية ونفخ الروح مباشرة؛ لأن الفاء الجزائية في قوله: (فسجد الملائكة كلهم...) لا تقتضي التعقيب بدليل عدم وجود السعي مباشرة إلى الصلاة عقب النداء في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾،³⁷¹ وبعدم وجوب إقامة الصلاة غيب الاطمئنان لقوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانكروا﴾.

وهذا الأمر التجيزي منتظم في سلك ما نيط به في الأمر التعليقي، إذ ليس من المعقول كما يفهم من كلام أبي السعود (ت: 982هـ) أن يأمر الله الملائكة بالسجود لآدم قبل خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه أي أن الأمر التجيزي ملاحظ فيه ما ورد في الأمر التعليقي من هذه الأمور، وعدم نظم أحدهما في سلك الآخر عند الحكاية لا يستلزم عدم نظمه فيه عند وقوع المحكى؛ لأن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة حسبما يقتضيه مقام الحكاية وحسن انتظامها ليست بعزيمة في الكتاب العزيز.³⁷²

وقد ذهب العلامة الرازي (ت: 606هـ) إلى أن الأمر بالسجود كان قبل الخلق والتسوية ونفخ الروح بظاهر ما ورد في (الحجر وص) عبارته: "الأمر بالسجود حصل قبل أن يسوى الله تعالى خلقه آدم - عليه السلام - بدليل: إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي... فظاهر هذه الآية يدل على أنه عليه السلام لما صار حياً صار مسجود الملائكة، لأن الفاء في قوله (فقعوا) للتعقيب، وعلى هذا التقدير يكون تعليم الأسماء ومناظرته

371 الجمعة: 62 / 9.

372 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 1 / 115.

مع الملائكة في ذلك حصل بعد أن صار مسجود الملائكة"،³⁷³ وأرى أن الأولى الأخذ بطرفي الرأيين أخذًا بظاهر الآيات دون تأويل، فيكون الأمر بالسجود كان تعليقاً قبل خلق آدم - عليه السلام - وتصويره على ما نطقت به الآيتان في سورة الحجر، ثم بعد أن خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه جل وعلا قال لهم: اسجدوا لآدم لتعيين وقت السجدة المأمور بها قبل ذلك الأمر التعليقي، وهذا ما جاء في (الأعراف والإسراء)، "فإن قيل: ما فائدة الأمر بالسجود قبل خلق آدم؟ ولم لم يؤخره حتى الانتهاء من الخلق والتسوية ونفخ الروح؛ لأن ذلك وقته؟ والجواب: أن الحكمة في الأمر التعليقي بالسجود قبل خلق آدم حمل الملائكة -عليهم السلام- على التأمل والتدبر في شأنه -عليه السلام- ليتدبروا في أحواله.. ويستفهموا عما عسى أن يستبهم عليهم في أمره عليه السلام لما انطوى عليه هذا الخلق من حكم أبيية وأسرار خفية قبل أن يؤمروا أمراً تنجزياً"،³⁷⁴ وفي ذلك أظهار لفضل آدم -عليه السلام- وامتحان للملائكة ليظهر المطيع من غيره"،³⁷⁵ والملاحظ في هاتين الآيتين أعنى الحجر أنه ذكر فيهما الأمر بالسجود على سبيل التعليق كما تبين، فقد اختصت الآيات هنا بذلك، لأنه اقترن الأمر بالسجود فيها بذكر مادة الخلق وهي الصلصال والحمأ المسنون، وكأن الله -سبحانه وتعالى- أمر الملائكة أمراً تعليقاً حتى قبل أن يخلقه لأن لا يستهينوا به اتكالا على أنه خلق من طين كما فعل إبليس عندما امتنع عن السجود لآدم - عليه لسلام-.

وعند تدبرنا لكلمات الآيات نلاحظ أن سجود الملائكة أكد بتأكيدين ب(كل)، (أجمع) وهما من أدوات التأكيد المعنوي، مبالغة في التعميم والتأكيد، وزيادة تمكين المعنى وتقريره في الذهن، فلا يكون تحصيل الحاصل بل تكون نسبة (كلهم أجمعون) كنسبة (كلهم) إلى أصل الجملة، يدل على اجتماعهم في زمن السجود و(كلهم) يدل على وجود السجود من الكل،

373 الرازي، مفاتيح الغيب، 2/ 427.

374 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 1/ 115.

375 الشهاب، حاشية الشهاب، 2/ 129.

فكأنه قال: سجد الملائكة كلهم معاً في زمن واحد دون أن يتأخر أحد منهم أو يتردد في عدم السجود، كما أن المقصود من التوكيد التأكيد على استحقاق إبليس المقت، وإن كان التركيب في تأكيد امتثال الملائكة لأمر الله إياهم بالسجود لآدم - عليه السلام - .

وقد سئل المبرد (ت:285هـ) عن سر تتابع التوكيد هنا فقال: "لو جاءت فسجد الملائكة احتمل أن يكون سجد بعضهم ، فجاء التوكيد لإحاطة الأجزاء، ف قيل له: أجمعون، فقال: لو جاءت كلهم لاحتمل أن يكون أن يكون سجدوا كلهم في أوقات مختلفة، فجاءت(أجمعون)؛ لتدل على إن السجود كان منهم كلهم في وقت واحد، فدخلت (كلهم) للإحاطة، ودخلت (أجمعون) لبيان سرعة الطاعة من الملائكة وأنهم لم يستخفهم الكبير والغرور كما فعل إبليس اللعين".³⁷⁶

وقد جاء التوكيد (كلهم) "دفعاً لتوهم المجاز، وجاء التوكيد (أجمعون)؛ لإفادة أن السجود كان في آن واحد منهم كلهم؛ إعلاما بشدة انقيادهم، وحسن تأهبهم للطاعة واستعدادهم".³⁷⁷

وجاءت استجابة الملائكة على قدر الطلب، فقد عبر الذكر الحكيم بـ (فقعوا) وجاء الجواب بالفاء (فسجدوا) دلالة على سرعة الاستجابة وطي الزمن، وجاء التوكيد متزرا مع ذلك كله؛ لبيان تمام امتثال الملائكة، وجاء الاستثناء بعد ذلك (إلا إبليس)؛ ليصفه وحده مقينا ممقوتا، بغیضا منبوذا، طاغيا متكبرا، عاصيا مستعليا، وفي ذلك وضع لمن كان على التمام في الامتثال بإزاء من كان على البشاعة في التمرد وفضح له وكشف عن استحقاقه المقت.³⁷⁸

376 الجمل، سليمان، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ط: الأولى، العامرية

الشرقية، القاهرة، 1303هـ، 581/2؛ ابن منظور، لسان العرب، 11/ 590.

377 البقاعي، نظم الدرر، 6/304، 404

378 الهدد، التوكيد المعنوي في الذكر الحكيم أسرار ومقاماته، ص 54.

ويلاحظ كذلك أن إحدى هاتين العبارتين جاءت في سورة (ص والحجر) والسورتان مكيتان، والقوم في مكة شديرو العناد للإسلام فناسب حالتهم هذه التفصيل في القول والاتجاه به نحو القوة وذلك ما تكلفت به السورتان.³⁷⁹

وذكر بعضهم أن الحكمة التي اقتضت التأكيد يرتبط بطبيعة الأمر الموجه إليهم وتنوعه بين التعليق والتتجيز حيث ذكر في (الحجر وص) الأمر التعليقي بخلاف المواضع الأخرى في (الأعراف والإسراء) حيث ذكر الأمر التتجيزي، وفي الأمر التعليقي تكون مظنة التخلف عن السجود، أو حصول ما ليس في الحساب مما يكون معوقا عن السجود لتراخي السجود فعلا عن الأمر به، فمبالغة في نفي هذه الهواجس حسن التأكيد بكل وأجمع،³⁸⁰ لإفادة أن السجود كان في آن واحد إعلاما بشدة انقيادهم وحسن تأهبهم للطاعة واستعدادهم.³⁸¹

وجاء التعبير بالأمر بالسجود أمرا صريحا؛ لإظهار القوة والحضور في السجود ما يغني عن المبالغة في طلبه، ومن ثم فلا يحتاج إلى تأكيد الامتثال له (فسجدوا) بخلاف الأمر المعلق فإن طبيعته المشار إليها أنفا تقتضي المبالغة في طلبه (فقعوا له ساجدين)، وبالتالي التأكيد على الانقياد له، وحسن التأهب لتنفيذ الأمر المأمور به.

في استثناء إبليس اللعين من الامتثال لأمر الله بالسجود بقوله تعالى: (إلا إبليس) إظهار لمدى قبحه وشناعة فعله، حيث أمر بالسجود فتكبر واستعلى، في حين امتثل الملائكة لأمر الله بالسجود، بسبب ذلك أسند الفعل (قلنا) إلى ضمير المتكلم (نا)، التي تدل على التعظيم وعلو القدر، فحكمة هذا الإسناد إلى ضمير العظمة أن الأمر صادر من الله - تعالى - للملائكة بالسجود، ووجب عليهم الامتثال، فناسب أن يكون الأمر في غاية التعظيم؛

379 المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص 350.

380 الألوسي، روح المعاني، 1/ 35.

381 البقاعي، نظم الدرر، 6/ 404.

لأنه متى كان كذلك كان أدعى لامتنال المأمور فعل ما أمر به، من غير بسط ولا تأول لشغل خاطره بورود ما صدر من المعظم،³⁸² ولإظهار قبح إبليس اللعين في عدم الامتنال لأمر الله؛ لأجل هذا ختم الآية بقوله: (لم يكن من الساجدين) فإن نفي كونه من الساجدين أخص من نفي السجود عنه؛ لأن نفي الكون يقتضي نفي الأهلية والاستعداد، وهذا أبلغ في الذم من أن يقال: لم يسجد،³⁸³ وقد عرضت قصة إبليس بإسلوب الحوار والمقابلة ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ،³⁸⁴ ونلاحظ هنا أن جواب إبليس اللعين ليس مطابقاً للسؤال الموجه إليه؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال منعني كذا في غير القرآن، إلا أن اللعين قال هذا الكلام لتعليل الامتناع؛ ولذلك حذفت منه اللام التعليلية، وكأنه قد استأنف قصة أخبر فيها بفضلته وبعمله، ذلك الفضل علم منه الجواب وزيادة³⁸⁵ وفي عدول اللعين عن الجواب المباشر إلى ما نطقت به الآية، إichاء بأن أمره في زعمه من البدهيات، فهو من الوضوح والثبوت بحيث لا يعلل له؛ ولذلك أخذ جوابه سبيل القضايا المسلمة والمدعمة بالأدلة، بغرض تقوية معنى الإنكار والاستبعاد، فهو يطرح جوابه في صورة الخبر، وكأنه في زعمه قد بلغ من الثبوت مبلغاً لا حد له، ثم في جوابه هذا نرى أنه يطرح دعواه أولاً (أنا خير منه) على شيء من الإجمال، ثم يعقب على هذه الدعوى بالتفصيل في قوله: (خلقتني من نار وخلقته طين)، وهو في هذا التفصيل يجعل فعل الخلق قاسماً مشتركاً؛ ليشير إلى أن مجرد المماثلة في زعمه مانع من السجود، فكيف إذا انضم إلى ذلك خيرية المادة.³⁸⁶

382 أبو حيان ، البحر المحيط، 602/1.

383 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ) ، بدائع الفوائد، تح: هشام عبد العزيز وآخرون، ط: الأولى، مكتبة نزار، مكة المكرمة، 1461هـ، 1996م، ص924.

384 ص: 38 / 75 - 76.

385 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 241/5.

386 الألويسي، روح المعاني، 4 / 315.

وعبر القرآن عن عدم سجود إبليس بـ (منع)، دون غيرها مثل الكف والإمساك؛ لأن "المنع هو ما لأجله يتعذر الفعل على القادر، فهو يضاد القدرة، فليس يسمى منعاً إلا إذا كان مع القدرة، فليس هو من العجز في شيء، أما الكف فهو على ما ذكر بعضهم يستعمل في الامتناع عما تدعو إليه الشهوة، قال : والإمساك مثله، فالكف عن الفعل امتناع، وإيجاده حالاً بعد حال، خلاف الانبساط فيه والإمساك حبس النفس عن الفعل"³⁸⁷ فالتعبير بالمنع هو الأليق والمناسب للمقام، حيث إن إبليس اللعين كانت عنده القدرة على فعل السجود لأدم، ولكن منعه تمرده وكبره وعصيانه .

"ولما كان المقام مقام التسجيل على إبليس بعدم السجود والتشهير والتوبيخ بتلك القبيحة الهائلة، كان خليفاً بالتصريح، جديراً بالاحتياط لضعف التعويل على القرينة لاتقاً بكمال الإيضاح والتقرير فعدل عن طريق الحذف، وإن كان الكلام دالاً على المحذوف إلى منهج الذكر والتصريح به"،³⁸⁸ وجاء الفصل في قوله تعالى: (قال أنا خير منه) عن الجملة السابقة (ما منعك ألا تسجد) لما بينهما من شبه كمال الاتصال؛ لأن الأولى مثيرة لسؤال، فجاءت الثانية جواباً عن هذا السؤال.

وأيضاً جاء الفصل في جملة (خلقتني من نار) عن جملة (أنا خير منه) لكمال الاتصال؛ لأن الجملة الثانية عطف بيان للجملة الأولى فجملة (أنا خير منه) فيها إبهام؛ فجاءت الثانية وأزالت هذا الإبهام ووضحته .

كان إبليس من صفوة الجن قبل تكبره، فقد كان دائم العبادة مع الملائكة، ولكن معادن الملائكة والجن وحقيقتهم لا تظهر إلا في أوقات التضحيات، فلما أمره ربه أن يقوم بعمل يجاهد به نفسه، وجد أن نفسه قد غلبته وأن كبره قد ظهر على السطح، وذلك عندما أمره ربه بالسجود لمن هو أقل منه في أصل تركيبه -حسب تقييم إبليس- ليختبر السمع

387 أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص/112.

388 الألويسي، روح المعاني، 328/4.

والطاعة، فأبى إبليس مستكبراً بأصله وتركيبه، وقد أخطأ هنا خطأين خطأ منطقية وخطأ إيمانية.

الأولى: خطأ منطقية: أنه فضل النار على الطين بدون دليل، هذا خطأ لأنه أصل التركيب لا يحكم على الشخص، وإنما ما يحكم عليه هو حاله وتقواه، واستخدام عقله في الخير.

والثانية: خطأ إيمانية: إن إبليس استكبر وبئس الخطأ هو الكبر، أنه قنط من رحمة الله واستكبر مرة أخرى، وبعد أن رفض إبليس السجود كان يستطيع أن يعود لربه مستغفراً متذلاً، ولكنه قنط من رحمة ربه واستكبر أن يكون من الذين يخبتون إلى ربه، داعين مستغفرين، وترتب على قنوطه حسد بني آدم -عليه السلام- هذا أنه قرر ألا يدخل الجحيم وحدة وليردي بني آدم معه في نار جهنم، وأكبر الخطأ إبليس اللعين هو الإساءة الأدب مع رب العالمين وعدم الطاعة له.

ومن هنا نلخص الدروس والعبر من قصة إبليس اللعين وهي :

عدم الغرور والتكبر بالنسب والأصل، والسرعة بالتوبة من الخطأ وإن عظم، وألا يغتر الإنسان بعبادة الرخاء، فربما يسقط في أول ابتلاء حقيقي ولا يقوى عليه، فطالما وجدنا أنفسنا نظن نفسنا مؤمنين لمجرد أننا نعبد الله، ولكن ليست العبرة بالعبادة إنما العبرة بالثبات عليها حال الفتن، وترك الحسد مطلب شرعي، والحسد شيء يهدم في الحاسد ويقنطه، وينشر العداوة والبغضاء، وإذا تأملنا في الحسد سنجد منهجاً سلبياً عقيماً.

الخاتمة :

الحمد لله الذي أنعم علي بإتمام هذا العمل ، وأسأل الله تعالى ، أن يجعله خالصا لوجه الكريم، وأن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن لا يحرمني أجره و ثوابه يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

بعد الانتهاء من بحث بعنوان (حديث القرآن عن المتكبرين وعقابهم) في الذكر الحكيم، وبعد طول عناء وبحث وتتقيب في كتب وآراء المفسرين، لقد توصل الباحث إلى أهم النتائج وهي كما يأتي:

جاء لفظ الكبر والمتكبرين ومشتقاتها بصيغ مختلفة في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة؛ لبيان خطورته وعقاب فاعله، وهذا إن دلّ فإنما يدل على خطورة الكبر على عقيدة المسلم، إذ إن كثرة التحذير من كبيرة والإكثار من ذكر نظائره يدل على قبح وشناعة، ما حذر منه الرحمن في القرآن الكريم .

وقد نجد بعض المرادفات لكلمة الكبر، استخدمت في القرآن الكريم، ولكل كلمة من هذه الكلمات دلالاتها الخاصة بها، وإن كانت تتقارب في المعنى إلا أن بينها فروقا لغوية وعند البحث عن مرادفات كلمة الكبر في القرآن الكريم نجد أنها تدور حول عدة كلمات، هي: الطغيان ، البغي ، البطر، الاستكاف، الغرور ، العجب ، العلو، العتو.

المتكبرون الذين ذكرهم الله في القرآن وإن اتحدوا في صفة الكبر والبطر، إلا أن أسباب الكبر لديهم جاءت متفاوتة ومختلفة: فمنهم من تكبر بسلطانه وحكمه مثل النمرود وفرعون - عليهما من الله ما يستحقانه -، فلم يغن عنهما سلطانهما شيئا من الله، ومنهم من تكبر بماله مثل قارون فكان عقابه أن خسف الله به وبداره الأرض، ولسان حاله يقول: ما أغنى عني ماليه، ومنهم من تكبر بقوته وبطشه مثل قوم عاد الذين زعموا أنه ليس هناك على ظهر البسيطة من هو أشد منهم قوة، فعاقبهم الله بأهون جنوده وأبسطها وهي الريح فلم

تتركهم إلا بعد أن أهلكتهم، ومنهم من تكبر عن عبادة الله وابتعد عن أوامره كإبليس اللعين فعاقبه الله بالسخط والطرد من الجنة.

ورد عقاب المتكبرين في النظم الكريم متنوعا ومختلفا فهناك من عاقبهم الله بالإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة كفرعون، وهناك من خسف الله به الأرض كقارون، وهناك من عذب بالصيحة والريح الصرصر كقوم عاد، وهناك من عوقب بالطرد من الجنة وصبت عليه اللعنات تترى كإبليس اللعين وغيرها من العذابات التي عاقب بها الله المتكبرين، وفي هذا التنوع والاختلاف زجر شديد ونهي كبير عن اقتراف جريمة الكبر، فإن مصير المتكبر من الآخرين لن يقل شناعة وقبحا عما عاقب به الله الأولين والغابرين.

وفي الختام أدعو الله أن تكون دراستي خالصة لوجهه الكريم ، فان أحسنت فمن الله الكريم المنان ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، ط: الثالثة، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، 1419 هـ، 1998م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399 هـ، 1979م، بدون الطبعة.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، تح: طارق فتحي السيد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425 هـ، 2004 م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422 هـ، 2001م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني، (ت 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، بدون الطبعة، 1407 هـ، 1986م.

ابن السمين، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: علي محمد معوض وآخرون، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ، 1991م.

ابن جزي الكلبي ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت:741هـ)،
التسهيل لعلوم التنزيل ، تح: الدكتور عبد الله الخالدي ، ط: الأولى ، دار الأرقم بن أبي
الأرقم، بيروت ، 1416 هـ ، 1996م.

ابن حميد، صالح بن عبد الله، وعدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق
الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- ، ط: الرابعة، دار الوسيلة ، جدة، بدون تاريخ.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد(ت:808هـ) ،
تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من
نوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط: الثانية، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ، 1988 م.

ابن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم
الإفريقي القيرواني(ت:200هـ)، التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت
معانيه، تح: هند شلبي ، الشركة التونسية للتوزيع، 1399هـ، 1979 م ، بدون الطبعة.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية
الأندلسي (ت:542هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد
الشافى محمد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ ، 1993م.

ابن فارس ،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين(ت: 395هـ)،
معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ط: الثانية ، دار الفكر، بيروت ،
1399 هـ ، 1979م.

ابن قدامة المقدسي، نجم الدين أبو عباس أحمد بن عبد الرحمن (ت:682هـ)،
مختصر منهاج القاصدين، ط:الأولى، مكتبة الدار البيان، دمشق، 1398 هـ، 1978 م.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ) ،
تفسير القرآن الكريم ، ط: الأولى ، مكتبة الهلال، بيروت ، 1410 هـ، 1990.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ) ،
بدائع الفوائد، تح: هشام عبد العزيز وآخرون، ط: الأولى، مكتبة نزار، مكة المكرمة، 1416هـ،
1996م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: 774هـ)، البداية
والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: الأولى، دار هجر، القاهرة، 1418هـ ،
1997م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774هـ) ، قصص
الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، ط: الأولى، دار التأليف، القاهرة، 1388هـ، 1968م.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774هـ) ، تفسير القرآن
العظيم، إحياء التراث الإسلامي، سوريا، بدون طبعة وتاريخ .

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت: 711هـ)، لسان
العرب، ط: الثالثة، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 1994م.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: 982هـ) ، إرشاد العقل السليم
إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

أبو العباس، ضياء الدين أحمد بن عمر القرطبي (ت: 656هـ)، المفهم لما أشكل من
تلخيص كتاب مسلم، ط: الأولى ، دار ابن كثير، 1417هـ، 1996م.

أبو حامد الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، إحياء
علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، بدون الطبعة والتاريخ .

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: 745هـ)،
البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 2000م،
بدون الطبعة.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ) ، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة صيدا، بيروت، بدون طبعه وتاريخ.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: 395هـ) ، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة ، القاهرة، بدون تاريخ وطبعة.

أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد، تح: السيد أبو المعاطي النوري، ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1419هـ، 1998 م.

الأخفش ، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري (ت: 215هـ) ، معاني القرآن للأخفش ، تح: الدكتورة هدى محمود قراءة ، ط: الأولى ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1411 هـ ، 1990 م.

الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: 420 هـ) ، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، ط: الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1422 هـ، 2001 م.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1995م.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت: 256هـ) ، صحيح الأدب المفرد، تح: محمد ناصر الدين الألباني ط: الرابعة، دار الصديق، المدينة المنورة، 1418هـ، 1997 م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت:256هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بدون الطبعة، 1414هـ، 1993م.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي (ت: 292هـ)، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تح: محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم، بدون الطبعة والتاريخ.

البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت:510هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط: الرابعة، دار طيبة، القاهرة، 1417 هـ، 1997 م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت:885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ، 1997م.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت:875هـ) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تح: الشيخ محمد علي معوض ، ط: الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1418 هـ ، 1997.

الثوري ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت:161هـ) ، تفسير الثوري ، ط: الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1403 هـ ، 1983 م.

جادو، طه محمد عبد الفتاح، الطواسين دراسة بلاغية تحليلية لقيود سور الشعراء والنمل والقصص، ط: الأولى، دار غيداء، عمان، 1437هـ، 2016م.

جادو، طه محمد عبد الفتاح، آيات رفع الحرج- دراسة بلاغية تحليلية، ط: الأولى ، مكتبة وهبة، القاهرة، 1435هـ، 2014م.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت: 816هـ)، *التعريفات*،
 تح: إبراهيم الأبياري، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ، 1983م.
- الجمل، سليمان، *الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجالين للدقائق الخفية*، ط:
 الأولى، العامرية الشرقية، القاهرة، 1303هـ، 1983م.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: 393هـ)، *الصحاح تاج
 اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة، دار العلم ، بيروت،
 1407هـ ، 1987م.
- الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي
 المكي (ت: 219هـ)، *مسند الحميدي*، تح ، حسن سليم أسد الداراني، ط: الأولى، دار السقا،
 دمشق، 1416هـ، 1996 م.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي(ت: 741هـ) ، *تفسير الخازن
 المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل* ، ط: الأولى ، دار الفكر، بيروت ، 1399 هـ
 ، 1979 م .
- الخضري، محمد الأمين، *من أسرار حروف الجرفي ذكر الحكيم*، مكتبة الأمانة،
 القاهرة، 1409 1989م، بدون الطبعة.
- الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: 170هـ)،
كتاب العين، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون الطبعة
 والتاريخ.
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، *إعراب القرآن وبيانه* ، ط: الرابعة، دار
 الإرشاد ، حمص، سورية، 1415هـ، 1995م.
- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(ت: 661هـ) ،
الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

الراجحي، عبد الغني، *متشابه النظم في قصص القرآن مقارنة وتحليل*، رسالة دكتوراه، مخطوط برقم 76 بكلية أصول الدين، بدون تاريخ،

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي (ت: 606هـ)، *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، ط: الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 1999م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم (ت: 502هـ)، *المفردات في غريب القرآن*، تح: صفوان عدنان الداودي، ط: الأولى، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، 1412هـ، 1992م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم (ت: 502هـ)، *مفردات ألفاظ القرآن*، ط: الثالثة، دارالقلم، دمشق، 1401هـ، 1981م.

رضا، محمد رشيد بن علي (ت: 1354هـ)، *تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1410هـ، 1990م، بدون الطبعة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت: 538هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط: الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 1987م.

السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدي السامرائي، *أسرار البيان في التعبير القرآني*، ط: الثانية، دار عمان، الأردن، 1422هـ، 2002م.

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي (ت: 489هـ)، *تفسير القرآن*، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، 1418هـ، 1997م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، *تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور*، تح: عبد الله الدرويش، دارالكتاب العربي، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418هـ)، تفسير الشعراوي - خواطر حول القرآن، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1417هـ، 1997م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت: 1393هـ) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط: الثانية ، دار الفكر ، بيروت، 1415هـ، 1995م.

الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار الطباعة الخديوية، بدون طبعة وتاريخ .

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ)، فتح القدير، ط: الأولى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1414هـ، 1994م.

شيخ زاده ،محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت: 951هـ) ، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، تح: محمد عبد القادر شاهين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1998م.

الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، الدار التونسية، تونس ، بدون الطبعة، 1984هـ، 1404م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: الأولى، دار هجر، 1422هـ، 2001م.

عبد الوهاب، صالح أحمد، أساليب التمني في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، القاهرة، 1423هـ، 2003م.

فخر الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: 606هـ) ، من أسرار التنزيل ، تح: عبد القادر أحمد عطا ، ط: الأولى ، دار المسلم ، مصر ، بدون التاريخ .

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح، محمد علي النجار، ط: الثالثة ، القاهرة، 1416هـ ، 1996م.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ) ، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، 1998م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ، 1964 م.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ) ، لطائف الإشارات = تفسير القشيري ، تح: إبراهيم البسيوني، ط: الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، بدون التاريخ .

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1386هـ)، في ظلال القرآن، ط: السابعة عشر، دار الشروق، القاهرة، 1412 هـ، 1992م.

القنطري، عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني الجزائري (ت: 1404هـ)، في سبيل العقيدة الإسلامية، ط: الأولى، دارالبعث، قسنطينة، الجزائر، 1402هـ، 1982م.
الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي ،أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، بدون الطبعة ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، 1998م.

- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450 هـ)، *أدب الدنيا والدين*، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398 هـ ، 1978م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346 هـ) ، *أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران*، دار الأندلس، بيروت، 1416 هـ، 1996م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (261 هـ)، *الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم*، دار الجيل، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
- مصطفى، وإبراهيم وآخرين، *المعجم الوسيط*، دار الدعوة، ط: الثاني ، 1393 هـ، 1973م.
- المطعني، عبد العظيم، *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*، الط: الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1413 هـ، 1992م.
- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت:1031 هـ)، *التوقيف على مهمات التعاريف*، ط: الأولى، عالم الكتب ، القاهرة، 1410 هـ، 1990م.
- نجم الدين ، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: 550 هـ)، *إيجاز البيان عن معاني القرآن* ، تح: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي ، ط: الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1415 هـ، 1995م .
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت:710 هـ) ، *تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تح: يوسف علي بديوي، ط: الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ ، 1998م.

النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: 850هـ) ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، تح: الشيخ زكريا عميرات ، ط: الأولى ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، 1416 هـ 1996م.

الهدهد، إبراهيم صلاح، التوكيد المعنوي في الذكر الحكيم أسرار ومقاماته، ط: الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1425هـ، 2004م.

الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت: 974هـ) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت، 1407 هـ، 1987م.

ملخص البحث باللغة العربية :

فإن أول معصية عصي بها الله - تبارك وتعالى - هي الكبر، حيث تكبر إبليس اللعين أن يسجد لسيدنا آدم -عليه السلام- لذا حفلت الآيات القرآنية بزم الكبر والمتكبرين، وبيّنت عقابهم في الدنيا والآخرة، فقد أثرت اختيار هذا الموضوع ليكون بحثاً في أطروحة الماجستير واخترت له عنواناً هو (حديث القرآن عن المتكبرين وعقابهم)، وسلكت فيه سبيل المنهج الاستقرائي، واستفدت من آراء المفسرين القدامى والمحدثين.

وقد تعرضت في هذا البحث مقدمة وتمهيد، وذكرت فيهما أهمية الموضوع والهدف منه، ومنهجي في البحث، وخطته، وذلك ذكرت تعريف الكبر، ودرجاته، وأنواعه، وأسبابه، وعلاجه، وحكمه، وقد ذكرت مشتقات الكبر ومرادفاته في الذكر الحكيم، وكذلك تكلمت عن حديث القرآن عن المتكبرين بسلطانهم وملكهم، وعقابهم الدنيوية والأخروية، مثل تكبر النمرود بسلطانه وعقابه في الذكر الحكيم، وتكبر فرعون بملكه وعقابه في النظم الكريم، وكذلك تحدثت عن حديث القرآن عن الطاغية قارون المتكبر بماله وعقابه الدنيوية والأخروية في الذكر الحكيم، وكذلك تكلمت عن حديث القرآن عن المتكبرين بقوتهم، وذكرت قوم عاد كأنموذج للمتكبرين بقوتهم، وأخيراً تحدثت عن حديث القرآن عن المتكبرين عن العبادة والسجود، وضربت مثلاً بإبليس اللعين.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وذكرت بعدها أهم المصادر و المراجع التي استقى منها الباحث مادته العلمية في بحثه، وملخص للبحث باللغات: العربية والتركية والإنجليزية.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

KUR'ÂN'DA MÜTEKEBBİRLER ve ONLARIN CEZASI

(Yüksek Lisans)

ÖZET

Kibir, Allah'a karşı yapılan ilk isyan suçudur. Şeytanın Allah'a secde etmeyip kibirlendiği suçtur. Bundan dolayı Kur'an ayetleri kibir ve kibirlenenleri yermektedir. Kur'an'da kibirlenenlerin dünya ve ahiretteki cezaları açıklanmıştır.

Biz de yüksek lisan tezi olabilecek şekilde “*Kur'ân'da Mütekebbirler ve Onların Cezası*” başlığıyla bir çalışma hazırlayarak bu konuya bütüncül bir şekilde dikkat çekmeyi amaçladık. Çalışma esnasında gerek klasik gerekse çağdaş âlimlerin görüşlerinden istifade edip istikrâ (tümevarım) yöntemini takip ettik.

Çalışmamız önsöz, giriş ve üç bölümden müteşekkildir. Giriş kısmında konunun amaç ve önemi üzerinde durduk. Birinci bölümde, Kur'ân'da kibrin nedenleri, tedavisi ve kibir ile aynı anlama gelen sözcükleri ve kibir hakkında bir takım genel bilgileri ele aldık. İkinci bölümü de “*saltanatlarıyla kibirlenenler ve Kur'ân'a göre onlara dünyada iken verilen cezalar*” başlığıyla ele alarak Nemrut, Karûn ve Firavun'un kibri, Kur'ân'ın Nemrut ve Firavun'un kibri hakkındaki söylemi ve onların cezaları hakkındaki söyleminden söz ettik.

“*Kur'ân'ın, güç ve kuvvetleriyle kibirlenenler ve ibadet etmemeleriyle kibirlenenler hakkındaki söylemi (Âd kavmi ve İblis örneği)*” başlığıyla ele aldığımız üçüncü bölümde de Kur'ân'ın Âd kavmi hakkındaki söylemi, Âd kavmi ile ilgili genel bilgiler, Âd kavminin kibiri, ilgili ayetler ve tahlilleri, iblis'in kibri ve Hz. âdem'e secde etmemesi ile ilgili ayetlerden bahsettik

Son olarak çalışma esnasında ulaştığımız kanaatleri sonuç başlığı altında değerlendirmesine yer verip, çalışmada kaynak olarak kullanılan kitapların da listesini verdik. Ayrıca tezin Arapça Türkçe ve İngilizce özetini vererek çalışmamızı noktalamaya çalıştık.

Anahtar Kelimeler	Kibir, Mütekebbirûn, Saltanat Kibri, Güç kuvvet Kibri, İbadet Etmeme (İblis) Kibri.
Sayfa Adedi	117+10
Tez Danışmanı	: Prof. Dr. Selahattin Sönmezsoy

ARROGANTS IN THE QUR'AN AND THEIR PUNISHMENTS (POST GRADUATE)

ABSTRACT

Arrogance is the first committed crime of rebellion against Allah. It is a sin that the devil, by becoming arrogant, does not prostrate to Allah. Therefore, the verses of the Qur'an vilify arrogance and arrogant. In the Qur'an is explained the punishments, in the world and hereafter, of those who are arrogant.

We, too, aimed to draw attention to this topic in a holistic way by preparing a study titled "Arrogants in the Qur'an and their Punishments ", which could be a post graduate thesis. During the study, we followed the induction method by taking advantage of the views of both classical and contemporary scholars.

Our work consists of preface, introduction and three chapters. In the first chapter, we discussed some general information about arrogance, the reasons of arrogance, its treatment and words with the same meaning of arrogance in the Qur'an. In the second part, we talked about Nimrod, Croesus and Pharaoh's arrogance, the Qur'an's discourse about Nimrod and Pharaoh's arrogance and their punishments with the title of those who are arrogant with their reigns and according to the Qur'an the punishments given to them while they in the world."

In the third chapter, which we dealt with the title of "the Qur'an's discourse about the arrogant by the power and those who are arrogant by worshiping (the example of Satan and the people of Ad)," we talked on the Qur'an's discourse about the Ad, general information about the Ad, the arrogance of the Ad by basing on surah al-Shu'ara, related verses and their analyzes, the arrogance of Satan and his not prostrate to Adam, Relevant verses in the context of the surah al-Hijr and general content of the surah.

Finally, we tried to put an end to our work by evaluating the conclusions reached during the study under the title of the conclusion and giving a list of the books used as sources in the study.

Keywords	Arrogance, Arrogants, Reign Arrogance, Power-Strength Arrogance, Not Worshiping (Satan)
Number of Pages	117+10
Thesis Supervisor	: Prof. Dr. Selahattin Sönmezsoy



İÇİNDEKİLER

ÖNSÖZ

KISALTMALAR

1. GİRİŞ

1.1. ARAŞTIRMANIN AMACI

1.2. ARAŞTIRMANIN ÖNEMİ

1.3. KONUYU SEÇME NEDENLERİM

1.4. ARAŞTIRMADA TAKİP EDİLEN YÖNTEM

2. KUR'ÂN'DA KİBRİN TÖREVLERİ ve EŞ ANLAMALI OLAN SÖZCÜKLER

2.1. KİBİR TARİFİ AÇIKLAMSI DERCELERİ ÇEŞİTLERİ SEBEPLERİ İLACI/TEDAVİSİ HÜKMÜ

2.2. KUR'ÂN'DA KİBRİN TÖREVLERİ

2.3. KUR'ÂN'DA KİBRİN EŞ ANLAMALILARI

2.3.1. et-TUĞYÂN

2.3.2. el-BAĞİY

2.3.3. el-BATAR

2.3.4. el-İSTİNKÂF

2.3.5. el-ĞURUR

2.3.6. el-UCUB

2.3.7. el-'ULÛ

2.3.8. el-'UTÛ

3. SALTANATLARIYLA KİBİRLENENLER ve KUR'ÂN'A GÖRE ONLARA DÜNYADA İKEN VERİLEN CEZALAR

3.1. NEMRUT, KARÛN VE FİRAVUNUN KİBRİ

3.1.1. KUR'ÂN'IN NEMRUT VE FİRAVUNUN KİBRİ HAKKINDAKİ SÖYLEMİ VE ONLARIN CEZALARI

3.1.1.1. KONUYLA İLGİLİ AYETLER

3.1.1.2. İLGİLİ AYATLERİN ÖNCEKİ AYETLERLE OLAN MÜNASEBETİ

3.1.2. KUR'ÂN'IN FİRAVUN'UN MÜLKİYLE KİBRİ VE AZABI HAKKINDAKİ SÖYLEMİ

3.1.2.1. FİRAVUN'UN NESEBİ ve KÖKENİ

3.1.2.2. FİRAVUN KISSASININ GEÇTİĞİ SURELER ve TEKRARI

3.1.2.3. FİRAVUN KISSASININ TEFSİRİ TAHLİLİ

3.1.2.4. KONUyla İLGİLİ AYETLER

3.1.2.5. AYETLERİN TEFSİRİ TAHLİLİ

4. KUR'ÂN'IN KARÛN'UN MALIYLA OLAN KİBRİ HAKKINDAKİ SÖYLEMİ

4.1. KARÛN'UN NESEBİ ve KUR'AN'DA GEÇEN KISSASI

4.1.1. KARÛN'UN NESEBİ

4.1.2 KUR'ÂN'IN KARÛN'UN MALIYLA OLAN KİBRİ HAKKINDAKİ SÖYLEMİ

4.1.3. AYETLERİN TEFSİRİ TAHLİLİ

5. KUR'ÂN'IN GÖÇLERİYLE KİBİRLİLENERLER HAKKINDAKİ SÖYLEMİ ('ÂD KAVMI ÖRNEĞİNDE)

5.1. KUR'ÂN'IN 'ÂD KAVMI VE GÖÇLERİYLE KİBİRLİLENERLERİ HAKKINDAKİ SÖYLEMİ

5.1.1. AD KAVMI İLE İLGİLİ KİMLERDİR

5.1.2. . KUR'ÂN'IN AD KAVMİNİN GÖÇLERİYLE KİBİRLİLENERLERİ HAKKINDAKİ SÖYLEMİ

5.1.2.1. KONUyla İLGİLİ AYETLER

5.1.2.2. AYETLERİN TEFSİRİ TAHLİLİ

6. KUR'ÂN'IN İBADET ve SECDEDEN YÜZ ÇEVİREREK KİBİRLİLENERLER HAKKINDAKİ SÖYLEMİ

6.1. İBLİS'İN KİBRİ ve HZ. ÂDEM'E SECDE ETMEMESİ

6.1.1.İBLİS'İN KİBRİNDEN DOLAYI SECDE ETMEMESİYLE İLGİLİ AYETLER

6.1.2.KONUyla İLGİLİ AYET

6.1.3. İLGİLİ AYETLER

6.1.4. AYETİN TEFSİRİ TAHLİLİ

SONUÇ

KAYNAKLAR

EKLER

ÖZGEÇMİŞ

ÖZET: TÖRKÇE VE İNGİLİZCE



T.C.
YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEFSİR BİLİM DALI

KUR'ÂN'DA MÜTEKEBBİRLER ve ONLARIN
CEZASI

YÜKSEK LİSANS TEZİ

HAZIRLAYAN
Ari majeed Hame Kareem

DANIŞMAN
PROF. DR. SELAHATTİN SÖNMEZSOY

VAN- 2017

T.C.
YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEFSİR BİLİM DALI

KUR'ÂN'DA MÜTEKEBBİRLER ve ONLARIN
CEZASI

YÜKSEK LİSANS TEZİ

HAZIRLAYAN
Ari Mejeed Hame Kareem

VAN- 2017